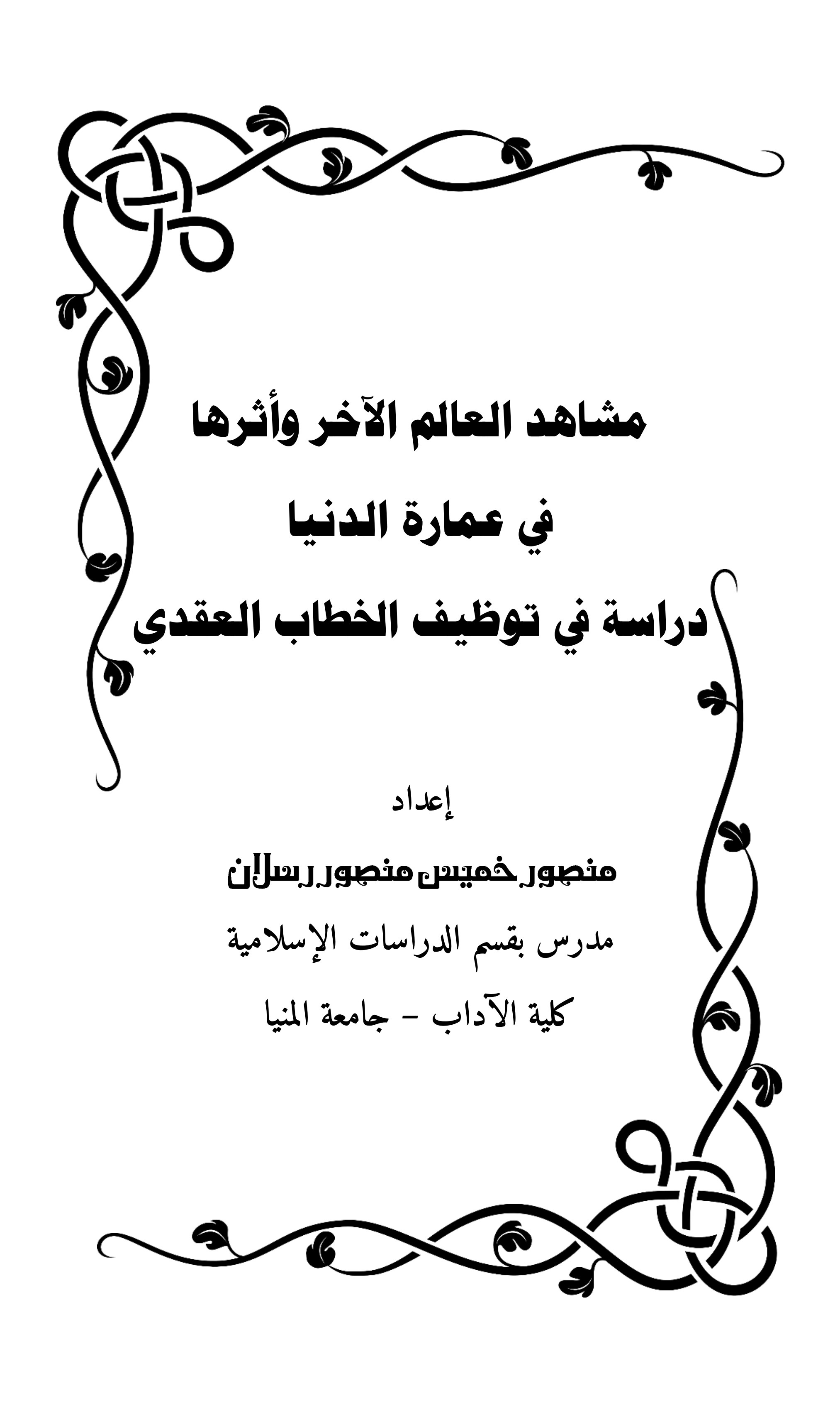


مشاهد العالم الآخر وأثرها
في عمارة الدنيا
دراسة في توظيف الخطاب العقدي

إعداد

منصور خميس منصور رسلان

مدرس بقسم الدراسات الإسلامية

كلية الآداب - جامعة المنيا

مشاهد العالم الآخر وأثرها في عمارة الدنيا دراسة في توظيف الخطاب العقدي

منصور خميس منصور رسلان

قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب، جامعة المنيا، مصر.

البريد الإلكتروني: mansour.rasslan7@gmail.com

ملخص البحث:

الحمد لله جامع العباد ليوم التناد، يوم يقوم الأشهاد فيدخل من يشاء في رحمته ويدع من يشاء لنقمته فلبئس المهاد، والصلاة والسلام على أشرف خلقه وآله وأصحابه أجمعين. ثم أما بعد، العقيدة أساس الدين وبناءه المحكم المتين، فلا يرتفع البناء إلا على أس، ولا ينهض الفرع إلا على أصل، وقد لا يظهر للناس الأصل ولا يرون الأس؛ لكنهم يعرفون حقيقته، ويقطفون ثمرته حينما تهب العواصف وتزداد، فيثبت من البناء ما كان أساسه قويم، وأصله رصين، وينهار ما لا أصل لها، وهكذا كل ما لا أصل له لا يبقى ولا يدوم. ومع كل هذه الأهمية للعقيدة، لا تزال مباحث الاعتقاد مظلومة بين أهلها، مسجونة في مظانها، محبوسة في قلوب عباد الله، وكأن مسائل الاعتقاد لا علاقة لها بالسلوك، وكأنها قضايا نظرية يجانبها التطبيق ويجافيها العمل.يظن الباحث أن الخطاب العقدي يحتاج إلى تجديد وتوظيف ليدفع قاطرة السلوك الإنساني؛ فالعقائد ينظر إليها فارغة من قوالب السلوك والعمل فيطرح الباحث رؤية ويضرب لها أنموذجًا ومثالًا؛ ليدلل عليها. فجاء البحث هادفًا لتوظيف الخطاب العقدي وتجديده لتتناسب أهميته مع طريقة عرضه وتجديد مقاصده، متمسكًا بالأصالة، متسمًا بالمعاصرة؛ ليقيم البحث

جسورًا متينة بين العقيدة وأهدافها الحقة. واستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي والاستقرائي وتتبع مشاهد الآخرة في مظانها الأصيلة؛ ليستخرج منها مقومات وأسس عمارة الدنيا دون تكلف أو تعسف في استخدام النصوص الصحيحة؛ ليدلل على منهج جديد في توظيف الخطاب العقدي يربط العقيدة بالسلوك. وانتهى البحث إلى امكانية هذه المعالجة الاستنباطية لتوظيف الخطاب العقدي بشرط الالتزام بخصائص وسمات تصون هذا الخطاب من العبث أو الانحراف، موصيًا باستخدام هذا التوظيف في طرح قضايا الاعتقاد لربطها بالسلوك والإصلاح المجتمعي والخطاب الأممي.

الكلمات المفتاحية: توظيف الخطاب، الخطاب العقدي، مشاهد اليوم الآخر، الآخرة ، أحداث القيامة، السلوك العقدي.

Scenes from the Afterlife and its Impact on Causing this Life to Thrive: A Study in Making Use of Creedal Discourse

Mansour Khamis Mansour Raslan.

Department of Islamic Studies, Faculty of Arts, Minia University, Egypt.

Email: mansour.rasslan7@gmail.com

Abstract:

Praise be to Allah. Peace and blessings be upon Prophet Muhammad. Creed is the base of religion and its firm solid construction; buildings do not rise except on a base, and branches do not rise except on an origin. People may not see the origin or the base, but they know its reality, and pick its fruits when storms blow; as a result, what is built on a solid foundation stands still, and what is built on no foundation collapses. Likewise, everything that has no root does not remain and does not last. Despite the significance of creed, creedal areas of research are understudied. They are imprisoned in their presumptions, kept in the hearts of the servants of God, as if issues of faith have nothing to do with behavior; as if they are theoretical issues that avoid application and work.It is thought that creedal discourse needs innovation to improve human behavior; creeds are considered as something idle that have nothing to do with behavior and action. As a result, the researcher presents a vision and sets a model and example for it to demonstrate it.The present study aims at benefiting from the creedal discourse and innovate it so that the significance of the creedal discourse matches how it is presented. It aims to revive its purposes while at the same time adhering to

originality, and contemporariness so as to build a solid bridge between faith and its true objectives.The study adopts a descriptive analytical approach as well as an inductive approach. It tracks scenes from the afterlife in their true perspective to figure out basic factors and foundations of a thriving life without pretentiousness or arbitrariness in the use of correct texts. This is to demonstrate a new approach that makes use of creedal discourse that links creed with behavior. The study arrives at a conclusion that this deductive treatment of making use of the creedal discourse is possible on condition that there should be adherence to the features and characteristics that preserve this discourse from futility and deviation. It is recommended that making use of the creedal discourse should be benefited from in raising issues of faith to link them with behavior, societal reform and nation discourse.

Keywords: Making use of discourse , Creedal discourse , Scenes from the afterlife , The afterlife , Events of the Day of Judgment, Creedal behavior.

المقدمة:

الحمد لله جامع العباد ليوم التناد، يوم يقوم الأشهاد فيدخل من يشاء في رحمته ويدع من يشاء لنقمته فبئس المهاد، والصلاة والسلام على أشرف خلقه وآله وأصحابه أجمعين.

ثم أما بعد،

العقيدة أساس الدين وبناءه المحكم المتين، فلا يرتفع البناء إلا على أس، ولا ينهض الفرع إلا على أصل، وقد لا يظهر للناس الأصل ولا يرون الأس؛ لكنهم يعرفون حقيقته، ويقطفون ثمرته حينما تهب العواصف وتزداد، فيثبت من البناء ما كان أساسه قويم، وأصله رصين، وينهار ما لا أصل لها، وهكذا كل ما لا أصل له لا يبقى ولا يدوم.

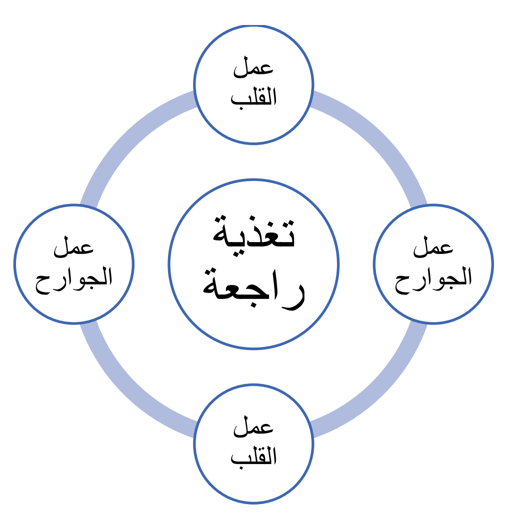
ومع كل هذه الأهمية للعقيدة التي هي أصل الدين وحبله المتين، ومتمسك المتقين الفائزين، لا تزال مباحث الاعتقاد مظلومة بين أهلها، مسجونة في مظانها، محبوسة في قلوب عباد الله، وكأن مسائل الاعتقاد لا علاقة لها بالسلوك، وكأنها قضايا نظرية يجانبها التطبيق ويجافيها العمل.

والحقيقة أن أصل أعمال الجوارح هو عمل القلب، فلا يصح عمل الجارحة إن فقد عمل القلب، فرب صائم لم يصم، ومصلٍ لم يصل، وقائم لم يدرك إلا تورم أقدامه، وقد ينجو من جاء وفي قلبه زنة حبة من خردل من إيمان، وإن لم يدرك العمل، فلا يتصور تسليم القلب وإنكار الجوارح؛ لكن يتصور تسليم القلب وإبطاء الجوارح وترك العمل تكاسلًا وفي الأمر تفصيل ليس محله هنا.

فيشغلني وأنا أَدرس العقيدة وأُدرسها أن تتحول العقيدة من مجرد اعتقادات إلى سلوك فأتصور – وأعلم طلابي– أن الإنسان أشبه بالآلة المتحركة

يُحركها الوقود فيدفع محركها الذي يُشعل الوقود من جديد فتدور الدائرة وتكتمل، فالقلب هو المحرقة الكبيرة المشتعلة بالوقود الذي يدفع أعمال الجوارح فيُكثر الإنسان من العبادات والطاعات والقُرب بمقدار دفع المحرقة واستمرار الوقود ومع زيادة الطاعة يشتعل القلب أكثر فيمد الجوارح بطاقة أكبر، وهكذا دواليك دواليك، أشبه بمنظومة من التغذية الراجعة المتدفقة المتجددة.

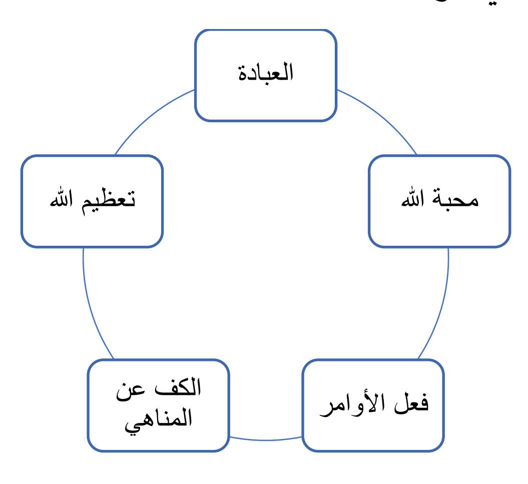
ويمكن تصور هذا التفاعل المستمر بين عمل القلب وعمل الجوارح فكلما زاد عمل القلب واستقر الإيمان زاد عمل الجوارح، وكثرت الطاعات التي تغذي القلب وتشعله الذي بدوره يدفع من جديد وبقوة أكبر عمل الجوارح ويستمر هذا التفاعل



منظومة التغذية الراجعة

هذا التفاعل إنما هو نتاج المسلك العقدي العملي، فكل عبادات الإنسان إنما هي استجابة لأوامر المولى سبحانه أو الكف عند المناهي، وأصل فعل كل

الأوامر أنما هي المحبة التي هي عمل القلب وأصل الكف عن المناهي إنما هو التعظيم لله الذي هو عمل القلب.



عمل القلب أصل عمل الجوارح

يدلنا هذا التصور والذي قبله على ضرورة تأصيل دور مسائل وقضايا الاعتقاد في السلوك ولا ينبغي أن ينظر إلى قضايا العقيدة باعتبارها علميات أو سمعيات لا تؤثر في سلوك الناس.

ومن هنا جاء تصور قضية البحث وإشكاليته الداعية إلى تجديد وتوظيف الخطاب العقدي فأردت أن أطبق ذلك على أبعد ما يمكن تصوره، وهو توظيف مشاهد الغيبيات وخاصة في الآخرة لنستلهم منها عمارة الدنيا وإقامة حضارتها.

وهذا ما تعرضه الصفحات القادمة في هذا البحث، والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

أولا موضوع البحث:

يدرس البحث توظيف الخطاب العقدي ووضعه في مسارات التطبيق بدلًا عن سجن هذا الخطاب في قلوب المؤمنين وعقولهم؛ ليخرج إلى حيز الوجود في سلوكهم وتصرفاتهم سيرًا في ركاب تجديد الخطاب الدين، ويكشف البحث عن مراده من خلال دراسة مشاهد الآخرة وأحداثها لاستلهام خطاب عقدي يعزز دعائم لعمارة الدنيا وإقامة الحضارة في الأرض.

ثانيًا مسوغات البحث وإشكاليته:

يظن الباحث أن الخطاب العقدي يحتاج إلى تجديد وتوظيف ليدفع قاطرة السلوك الإنساني؛ لأن العقائد ينظر إليها فارغة من قوالب السلوك والعمل؛ فيطرح الباحث رؤية ويضرب لها أنموذجًا ومثالًا؛ ليدلل عليها.

وتكمن إشكالية البحث في ندرة الدراسات التأصيلية لتوظيف الخطاب العقدي، وحساسية هذا الخطاب؛ لأنه متعلق بأصول الدين فالإقدام على معالجات جديدة للخطاب العقدي يجب أن تسير بقدر من الحذر والحيطة والدقة؛ لضمان أمن وسلامة العرض لهذا المحتوى العقدي من الانحراف أو التشويه أو الابتداع.

ثالثًا أهمية البحث والإضافة العلمية:

تعود أهمية البحث إلى الحاجة إليه من الزاوية النظرية والتطبيقية:

فمن الناحية النظرية تقل الدراسات العقدية التي تربط بين العقيدة والسلوك، وتندر الدعوة إلى توظيف الخطاب العقدي وتجديده أو طرحه في شكل يربط بين المعتقد والعمل، فتأتي الحاجة إلى مثل هذه الدراسات التي تغذي هذا الجانب في المباحث والقضايا العقدية.

ومن الناحية العملية تعود أهمية البحث إلى جانبه التطبيقي الذي يحاول الكشف عمليًا بعرض أنموذج لتوظيف الخطاب العقدي وتجديده.

وتتجلى هنا **الإضافة العلمية** الكامنة في اتباع مسلك جديد في عرض وطرح قضايا العقيدة يلتزم منهجية توظيف الخطاب العقدي وتجديده؛ ليشيد بناء أمة تربط عقيدتها بسلوكها العملي وتنشئ حضاراتها وفق هذا التأصيل.

رابعًا أهداف البحث:

يهدف البحث بشكل رئيس إلى ضرورة توظيف وتجديد الخطاب العقدي ليربط بين العقيدة والسلوك.

وفي ضوء مقصده العام وعلى هديه يسعى لتحقيق الأهداف التالية:

١- معرفة المقصود من توظيف وتجديد الخطاب العقدي.

٢- اقتراح السمات والخصائص الرئيسة لتوظيف الخطاب العقدي.

٣- توضيح دعائم ومقومات الاستخلاف والحضارة الإسلامية المشيّدة لعمارة الأرض.

٤- عرض مشاهد وصور من المعتقد الإسلامي لليوم الآخر واستنباط منها ما يعزز فكرة البحث ومقصده الرئيس.

٥- توظيف الخطاب العقدي في قضايا الأمة الكبرى.

٦- توضيح محاسن الإسلام وعالمية خطابه.

خامسًا: نطاق البحث:

يتمثل نطاق البحث في دراسة قضية عقدية وهي بعض مشاهد اليوم الآخر وقراءة جديدة لهذه المشاهد تعزز عمارة الأرض وإقامة الحضارة فيها.

سادسًا منهج البحث:

اعتمد البحث على المنهج الوصفي والتحليلي، حيث يستقصي الباحث بعض مشاهد الآخرة ويحللها ويعرض علاقتها بعمارة الدنيا، وفي سبيل ذلك ينتهج البحث طريقة العرض على النحو التالي:

١- يعنون محور عمارة الدنيا ويعرفه.

٢- عرض مشهد اليوم الآخر ودليله.

٣- توظيف المشهد مع محور عمارة الدنيا.

٤- ثم يذكر الباحث خلاصة توظيف الخطاب العقدي في نهاية كل محور.

٥- يراعي الباحث عدم التكلف أو لي النصوص أو تأويلها ليوجهها لمقصد البحث، بل يحاول الالتزام بالموضوعية في العرض والتوظيف.

وفي ضوء هذا المنهج وعلى هديه سيقوم الباحث بالتالي:

- استخدام المظان الرئيسة من المصادر وعدم اللجوء للمراجع إلا عند الضرورة.
- لن يطيل الباحث في سرد الأدلة على الشواهد وهي كثيرة جدًا وسيكتفي بالشاهد الأوضح، والأظهر في الدلالة.

- يستعرض الباحث المشاهد من أدلته الصحيحة الواضحة.
- لن يعطي الباحث درجة للحديث مادام عند البخاري أو مسلم، ويقدم حكمًا إذا كان في غيرهما.
- لن يطيل الباحث في عرض التعريفات والخلافات المقررة فيها إلا ما يخدم مادة البحث.

سابعا: محتويات البحث:

يحتوي البحث خطة مكونة من مقدمة وتمهيد يشمل مصطلحات الدراسة وثلاثة مباحث وخاتمة تشمل النتائج والتوصيات ثم فهارس المراجع.

وتكون المبحث على النحو التالي:

المبحث الأول: محور الضبط الاجتماعي.

المبحث الثاني: محور التنمية.

المبحث الثالث: الكلمة السواء.

التمهيد ويشمل على مصطلحات البحث وما يقاربها من مصطلحات:

يعرض الباحث في هذا التمهيد لأهم مصطلحات البحث، وما يتعلق بها أو يقاربها من مصطلحات حتى يتسنى ضبط مفاهيم البحث، ولن يطيل الباحث في عرض التعريفات اللغوية أو المتفرقات الاصطلاحية؛ لكنه يهدف من التعريفات مما يخدم توضيح فكرة البحث في المقام الأول.

١- مشاهد الآخرة أو العالم الآخر:

وهو مركب إضافي من كلمتين نوضحهما على النحو التالي:

مشاهد أصلها من شهد، وشَهِدَ: الشِّينُ وَالْهَاءُ وَالدَّالُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى حُضُورٍ وَعِلْمٍ وَإِعْلَامٍ، لَا يَخْرُجُ شَيْءٌ مِنْ فُرُوعِهِ عما ذَكَرْنَاهُ، يُقَالُ شَهِدَ يَشْهَدُ شَهَادَةً. وَالْمَشْهَدُ: مَحْضَرُ النَّاسِ. [1]

والشّاهدُ – الْحَاضِر وَالْجمع شُهّد وَقد شهِدْت الْأَمر وشاهدْتُه وَفِي التَّنْزِيل {فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ} [البقرة: ١٨٥]، أَي من شهد مِنْكُم البلَد فِي الشّهر لَا يكون إِلَّا ذَلِك لِأَن الشَّهْر يشهدُه كلّ حيّ فِيهِ، وَامْرَأَة مُشهِد ومُشهِدة – شهدَ بعلُها. [٢]

---

[1] معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م، ج٣/ ٢٢١، انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)، ت: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط٤، ١٩٨٧م، ج٢/٤٩٤.

[٢] المخصص: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: ٤٥٨هـ)، ت: خليل إبراهيم، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ١٩٩٦م، ج٣/٣٢٥، وانظر: شمس ==

فالمشاهد جمع مشهد وفيها معنى الحضور والرؤية والإعلام.

والآخرة: من أَخَّرْتُهُ فتأَخَّرَ، واسْتأْخَرَ، مثل تأَخَّرَ. والآخِرُ: بعدَ الأول، وهو صفةٌ. تقول: جاء آخِرًا، أي أخيرًا، وتقديره فاعل، والأنثى آخرة، والجمع أواخر، والآخِرَة: خلاف الدنيا. (١)

ويقصد بها المشاهد التي تحدث في القيامة الكبرى فالقيامة قيامتان؛ **قيامة صغرى** يعني الموت كم دل عليها حديث عائشة رضي الله عنها، فعَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: كَانَ رِجَالٌ مِنَ الأَعْرَابِ جُفَاةً، يَأْتُونَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَسْأَلُونَهُ: مَتَى السَّاعَةُ؟ فَكَانَ يَنْظُرُ إِلَى أَصْغَرِهِمْ فَيَقُولُ: "إِنْ يَعِشْ هَذَا لاَ يُدْرِكْهُ الهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ عَلَيْكُمْ سَاعَتُكُمْ"، قَالَ هِشَامٌ: يَعْنِي مَوْتَهُمْ. (٢)

وقيامة كبرى وهي القيامة العامة التي تفنى بها الحياة على الأرض، ويبعث الخلائق للحساب والجزاء إما جنة أو نار.

فمشاهد الآخرة كما يستخدمها البحث: "كل ما يقع من أحداث وصور في الدار الآخرة ويمكن توظيفها في الخطاب العقدي المتعلق بعمارة الدنيا"

==

العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: نشوان بن سعيد الحميري اليمني (ت: ٥٧٣هـ)، ت: حسين بن عبد الله العمري وآخرون، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٩٩ م، ج٦/٣٥٦٣.

(١) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: مرجع سابق، ج ٢/ ٥٧٦، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: مرجع سابق، ج١/ ٢٠٣

(٢) أخرجه البخاري كتاب الرقاق، باب سكرات الموت، رقم (٦٥١١)، ج٨/١٠٧، ومسلم في الفتن وأشراط الساعة، باب قرب الساعة رقم (٢٩٥٢)، ج٤/٢٢٦٩.

واستخدم الباحث في عنوانه العالم الآخر لإشعار القارئ بالمفارقة بين عالم الدنيا المرجو عمارته وبين عالم الآخرة الذي يُنهي هذه العمارة، ليتسنى تصور دلالة ومقصد البحث في توظيف الخطاب العقدي.

٢- الخطاب العقدي:

الخطاب العقدي مركب من كلمتين ومعناهما في اللغة:

خَطَبَ: الْخَاءُ وَالطَّاءُ وَالْبَاءُ أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا الْكَلَامُ بَيْنَ اثْنَيْنِ، يُقَالُ خَاطِبُهُ يُخَاطِبُهُ خِطَابًا، وفي التنزيل {وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ} [ص: ٢٠]، وَالْخُطْبَةُ مِنْ ذَلِكَ، وَالْخَطْبُ: الْأَمْرُ يَقَعُ ; وَإِنَّمَا سُمِّيَ بِذَلِكَ لِمَا يَقَعُ فِيهِ مِنَ التَّخَاطُبِ وَالْمُرَاجَعَةِ، والمُخاطَبَة: مُراجَعَة الكَلامِ، ويقال: خَاطَبَهُ بِالْكَلَامِ مُخَاطَبَةً وَخِطَابًا (١)

وعَقَدَ: الْعَيْنُ وَالْقَافُ وَالدَّالُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى شَدٍّ وَشِدَّةِ وُثُوقٍ، وَإِلَيْهِ تَرْجِعُ فَرَوْعُ الْبَابِ كُلُّهَا، وَاعْتَقَدَ كَذَا بِقَلْبِهِ، وعقيدة الرجل: دينه الذي يعتقده. (٢)

والعقد: الجمع بين أطراف الشيء ويستعمل ذلك في الأجسام الصلبة كعقد الحبل، وعقد البناء ثم يستعار ذلك للمعاني الأخرى نحو عقد البيع، والعهد،

---

(١) انظر: مقاييس اللغة: مرجع سابق، ج٢/١٩٨، مختار الصحاح: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت: ٦٦٦هـ)، ت: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت، ط٥، ١٩٩٩م، ص٩٢، لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي (ت: ٧١١هـ)، دار صادر، ج١/٣٦١، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: مرجع سابق، ج٣/١٨٤٣.

(٢) مقاييس اللغة مرجع سابق، ج٤/ ٨٦، مختار الصحاح: ص: ٢١٤.

وغيرهما فيقال: عاقدته وعقدته وتعاقدنا وعقدت يمينه [١] وَاعْتَقَدْتُ كَذَا: عَقَدْتُ عَلَيْهِ الْقَلْبَ وَالضَّمِيرَ حَتَّى قِيلَ الْعَقِيدَةُ مَا يَدِينُ الْإِنْسَانُ بِهِ وَلَهُ عَقِيدَةٌ حَسَنَةٌ سَالِمَةٌ مِنْ الشَّكِّ. [٢]

ويتضح من أصل كلمة "عقدية" اللغوي أنها تدل على الشد والوثوق والربط وكلها تدور في معنى قوة الترابط بين الأشياء المعقودة الموثوقة، واستعير اصطلاحًا للدلالة على قوة التمسك بما يعتقده الإنسان من قضايا الإيمان، وكأنها يقين لا يقبل الشك أو مسلمات لا تقبل التفاوض.

وفي الاصطلاح: يعرف الخطاب بأنه: "اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه" فاحترز باللفظ عن الحركات والإشارات المفهمة بالمواضعة، "وبالمتواضع عليه" عن الألفاظ المهملة و"بالمقصود به الإفهام "عن الكلام الذي لم يقصد به إفهام المستمع فإنه لا يسمى خطابًا وبقوله: "لمن هو متهيئ لفهمه" عن الكلام لمن لا يفهم. [٣]

---

(١) المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢ هـ)، ت: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، ص ٣٤١.

(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت:٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية، ج٢/٤٢١.

(٣) شرح مختصر المنتهى الأصولي للإمام أبي عمرو عثمان ابن الحاجب المالكي (ت: ٦٤٦هـ) : عضد الدين عبد الرحمن الإيجي (ت: ٧٥٦ هـ) وعلى المختصر والشرح، حاشية سعد الدين التفتازاني (ت: ٧٩١ هـ) وحاشية السيد الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦ هـ)، ت: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٤ م، ج٢/١١١، وانظر: الإحكام في أصول الأحكام : أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (ت: ٦٣١هـ)، ت: عبد الرزاق عفيفي، المكتب ==

والعقدي صفة توضيحية لمضمون الخطاب ومحتواه، فيقال: الخطاب الشرعي، والخطاب الديني، والخطاب الرئاسي، الخطاب العقدي، تمييزًا لمضمون الخطاب أو مصدره.

وفحوى المعتقد التصديق الجازم بفكرة ما أو تصور معين بمستوى لا يمكن فيه أن يتسرب أدنى شك إلى النفس المصدقة والجازمة بتلك الفكرة أو ذلك التصور، فيتعامل معه كقضية قطعية خارج إطار القابلية للزعزعة والتردد، وهذا المفهوم للعقيدة مفهوم عام يصدق على أي معتقد سواء أكان سماويًا أم أرضيًا، وسواء أكان حقًا أم باطلًا فالشيوعية لدى معتنقيها عقيدة والبوذية لدى أتباعها عقيدة. (١)

لذلك ينبغي التنبه إلى أن "العقدي" أو "العقيدة" كلمة عامة تدل على وثوق الشخص وتمسكه بأفكار تبدو له مسلمات لا تقبل النقاش أو المراجعة، دون كونها علمًا على الحق أو اليقين إلا في إدراك صاحبها، فالذي يعبد البقر أو الحجر أو الشجر إنما يعتقد صدق عبادته ويقينها، وكذلك كل منحرف عن الجادة والطريق المستقيم يظن أن ما يعتقده هو الصواب وغيره الخطأ والضلال.

==

الإسلامي، ج١/٩٥، نهاية الوصول في دراية الأصول: صفي الدين محمد بن عبد الرحيم الأرموي الهندي (ت:٧١٥هـ)، ت: صالح بن سليمان اليوسف، سعد بن سالم السويح، رسالتا دكتوراة بجامعة الإمام بالرياض، المكتبة التجارية بمكة المكرمة، ط١، ١٩٩٦م، ج١/٥٠.

(١) تجديد الخطاب الديني العقدي في مواجهة التحديات المعاصرة: أحمد محمد مفلح، رسالة دكتوراة، غير منشورة، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، كلية الدراسات العليا، الأردن، ٢٠١١، ص٢٥.

والخطاب الديني عمومًا والإسلامي خاصة له مفهوم كلي وشامل فهو رؤية الإسلام الفكرية والعقدية والحضارية وهو مقاصد هذا الدين في نشر رسالته إلى العالم بأسره كما يصوغها ويتفهمها البشر، ومضمون هذا الخطاب هو ما استنبطه المجتهد أو المفكر أو الداعية أو السياسي أو الاقتصادي من النصوص الدينية الثابتة الصحيحة أو من مصادر الاستنباط الأخرى المعتمدة الموثوقة المستقرة أو حتى منظومة القيم الإسلامية كالعدل، ومقاصد الشريعة كحفظ الأنفس، فالخطاب الإسلامي مفاهيم يصوغها المسلمون من خلال أفكارهم، وآراءهم، ومواقفهم التي يريدون تبليغها للناس كافة. [١]

٣- عمارة الدنيا:

جاء المعنى اللغوي على النحو التالي: الْعَيْنُ وَالْمِيمُ وَالرَّاءُ أَصْلَانِ صَحِيحَانِ، أَحَدُهُمَا يَدُلُّ عَلَى بَقَاءٍ وَامْتِدَادِ زَمَانٍ، وَالْآخَرُ عَلَى شَيْءٍ يَعْلُو مِنْ صَوْتٍ أَوْ غَيْرِهِ.

وَمِنَ الْبَابِ عِمَارَةُ الْأَرْضِ، يُقَالُ عَمَّرَ النَّاسُ الْأَرْضَ عِمَارَةً، وَهُمْ يَعْمُرُونَهَا، وَهِيَ عَامِرَةٌ مَعْمُورَةٌ. وَقَوْلُهُمْ: عَامِرَةٌ، مَحْمُولٌ عَلَى عَمَرَتِ الْأَرْضُ، وَالْمَعْمُورَةُ مَنْ عُمِرَتْ. وَالِاسْمُ وَالْمَصْدَرُ الْعُمْرَانُ: وَاسْتَعْمَرَ اللَّهُ – تَعَالَى – النَّاسَ فِي الْأَرْضِ لِيُعَمِّرُوهَا. وَالْبَابُ كُلُّهُ يُؤَوَّلُ إِلَى هَذَا.

---

(١) انظر: تجديد الخطاب الديني(الإسلامي) بين الثوابت والمتغيرات: علي بودربالة، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة، جامعة الأزهر، العدد١، مجلد٣٤، ص١٠، بتصرف.

العَمَارة: نقيض الخراب، يقال: عَمَرَ الدار وغيرها عِمارةً وعُمراناً، عَمَّر: أسكن، أعمر، جعل المكان أهلاً. (١)

وجاء في الذكر الحكيم قوله تعالى: {وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ}[هود: ٦١]

أي جعلكم عمَّارها وسكانها. قال الضحاكُ: "أطَالَ أعماركم فيها"، وقال مجاهدٌ: أعمركم من العمرى، أي جعلها لكم ما عِشْتُمْ. وقال قتادةُ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْه –: "اسكنكم فيها"، قال ابنُ العربي: "قال بعضُ علمائنا: الاستعمارُ: طلبُ العمارة، والطلب المعلق من الله – تعالى – على الوجوب، ، فقوله تعالى: {واستعمركم فِيهَا} أي: خلقكم لعمارتها، وفيها أن الله تعالى خص الإنسان بالفكر والتميز، وشرفَهُ بهما، حتى قال تعالى: {وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا}، وجعله بذلك خليفة في الأرض فقال للملائكة: {إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً}، وقال تعالى: {لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ}، وقال تعالى: {وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ} الآية، وقال تعالى: {وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا}، وكفاه

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة مرجع سابق: ج٤/١٤٠، كتاب الألفاظ : ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (ت: ٢٤٤هـ)، فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان ناشرون، ط١، ١٩٩٨م، ص٢٦، مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار: جمال الدين، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفَتَّنِي الكجراتي (ت: ٩٨٦هـ)، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط٣، ١٩٦٧م، ج٣/٦٧٤، تكملة المعاجم العربية: رينهارت بيتر آن دُوزِي (ت: ١٣٠٠هـ)، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمَّد سَليم النعَيمي وآخرون، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ط١، ٢٠٠٠ م، ج٧/٣٠٥.

شرفاً بما أعطاه من هذه المنزلة أنه قد يصير لأجلها شريفاً موصوفاً بالعلم والحلم والحكمة. (١)

فالله سبحانه خلق الإنسان وأعطاه قوة يكون بها مستعدًا للتصرف بجميع هذه القوى وتسخيرها في عمارة الأرض، وعبر عن تسخير هذه القوى له بالسجود الذي يفيد معنى الخضوع والتسخير، وجعله بهذا الاستعداد الذي لا حد له، والتصرف الذي لم يعط لغيره خليفة الله في أرضه؛ لأنه أكمل الموجودات في هذه الأرض. (٢)

ويقصد الباحث بعمارة الأرض في بحثه: "هو تحقيق العمران البشري المادي والمعنوي حتى قيام الساعة، **فالمادي** يقصد به إصلاحه وتعاهدها بالصيانة والتنمية، والتعايش المشترك الإنساني فيها، **والمعنوي** في تحقيق الكلمة

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ)، ت: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط٣، ١٩٩٨ م، ج٦/٢٠٤٨، تفسير الراغب الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت:٥٠٢هـ)، ت: محمد عبد العزيز بسيوني، نشر المجلد الأول، كلية الآداب – جامعة طنطا، ١٩٩٩ م، ج١/٣٥، اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت: ٧٧٥هـ)، ت: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية ، ط١، ١٩٩٨م، ج١٠/٥١٢.

(٢)تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار): محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين الحسيني (ت: ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م، ج١/٢٢٤.

السواء بين بني آدام كلهم وفق مراد الله سبحانه وتعالى وعلى هدي من سَنَنِ نبيه صلى الله عليه وسلم"

٤- توظيف الخطاب العقدي وتجديده.

١- سبب الدعوة إلى تجديد الخطاب العقدي:

تميز عصرنا بانفجار غير مسبوق في الإنتاج الفكري والأدبي ساهم في شيوعه وانتشاره؛ وفرة وسائل النشر، والتواصل بفعل الثورة التقنية الأخيرة، إلا أن هذه الوسائل بقدر ما تسببت في نشر الثقافة والتعليم، وحسرت دائرة الأمية فإنها عملت على نقل تصورات خاطئة، وأفكار منافسة للأديان عمومًا وللإسلام خصوصًا، وأفرزت أجيالًا متشبعة بروح الفلسفات، والأفكار، والقيم الغربية على حساب خصائص الدين وقيمه. [١]

ويستمد التجديد أهميته كذلك من الحالة الراهنة التي تعيشها الأمة، والموقع الذي تحتله اليوم بين الأمم خصوصًا في خضم العولمة التي تعمل على استغراق كل الأمم والحضارات في حضارة واحدة وهو ما يجعل الأمة الإسلامية بين إما الرفض والجمود، أو القبول التام والذوبان، أو التمحيص والتنقيح والتجديد الذي يقوم على أخذ الجوانب المفيدة من باقي الحضارات التي لا تنافي الدين الإسلامي. [٢]

---

(١) تجديد الخطاب العقدي عند أبي الحسن الندوي، الكتابة الأدبية أنموذجًا: جمال الأشراف، مجلة الشهاب، جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي، معهد العلوم الإسلامية، عدد ٤، مجلد٢، ٢٠١٨، ص٢٤٥.

(٢) التجديد في الخطاب الديني ضوابطه وتاريخه وأدواته: أسماء دلة، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية لبنين، جامعة الأزهر، عدد ١، مجلد ٣٤، ٢٠١٧، ص ٤٩.

فالتجديد في الخطاب الديني لابد أن يرتقي من ناحية المضامين إلى مستوى هذا العصر، ويعالج قضايا من أمهات القضايا الخطيرة التي تواجه العالم الإسلامي لاسيما في خضم الصراعات الإيديولوجية التي تتنازعها قوى عظمى تحاول قيادة المركب وجعل العالم بأسره يسير وفق اتجاهه. [١]

لكن دعاوى التجديد لا يجب أن تقبل على علاتها أو مطلق دعواها؛ فكم من مريدٍ للخير لا يدركه، وكم من ساع إليه يخبط فيخ عشواء؛ فيجب أن تضبط دعاوى التجديد في سياق يناسب مرونة الشريعة وثباتها وعصمة مصدرها، وإلا كانت هذه الدعاوى نابعة من انحراف فكري أو تأثر من ضغوط مجتمعية زائفة لا تعرف للدين حقه ولا للعقيدة ثباتها واضطرادها مع تغير الأزمنة والمجتمعات.

إنْ عالج التجديد الوسائل وارتقى على طرق الإبانة والإفصاح، ونفض الغبار عن حقيقة المعتقد الحق واتخاذ الوسائل والتدابير التي تراعي هذا السياق مستصحبة تغير أفهام الناس في سياق الأزمنة والبيئة المختلفة فنعم الدعوى هي، وإلا لو تأثر القوم وظنوا أن الحاجة على تجديد الخطاب الديني هو مطاوعة الدين وقضايا الاعتقاد والفكر إلى الضغوط المجتمعية المحلية أو العالمية التي مردها إلى الهوى والتشهي؛ إنما هو ضرب من الانحراف عن الجادة والطريق المستقيم الذي خطه القرآن المحكم المبين والرسول الصادق الأمين.

ويمكن أن نجمل غايات التجديد بمفهومه المتوازن في النقاط التالية:

---

(١) مظاهر تجديد الخطاب الديني ونتائجه: سامية جبارة، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين، القاهرة، جامعة الأزهر، عدد خاص، ٢٠١٧، ص١٤١٤.

- مساهمة الأمة الإسلامية قصدًا في تطوير الحضارة الإنسانية والعالمية.
- إظهار الشرائع التي خفيت أو دَرست في المجالات الشرعية، والعقدية بفعل الهوى أو الجهل الذي خيم على كثير من مجتمعاتنا الإسلامية.
- إزالة كل التصورات والأفكار والمسالك الخاطئة التي وقعت في سلوك بعض الناس، وأقوالهم، وعقائدهم، وردُّ الأمر إلى ما كان عليه المصطفى صلى الله عليه وسلم وأصحابه.
- تبيين السُّنَّة وتنقيتها وتمييزها عن البدعة والتحريف.
- إحياء معالم الدين ومواجهة الهجمة الغربية الشرسة.
- أن يهدف التجديد إلى علاج الأمراض الاجتماعية متى ظهرت. (١)

توظيف الخطاب العقدي:

معنى التوظيف لغة: مشتق من وَظَفَ الْوَاوُ وَالظَّاءُ وَالْفَاءُ: كَلِمَةٌ تَدُلُّ عَلَى تَقْدِيرِ شَيْءٍ. يُقَالُ: وَظَّفْتَ لَهُ، إِذَا قَدَّرْتَ لَهُ كُلَّ حِينٍ شَيْئًا مِنْ رِزْقٍ أَوْ طَعَامٍ،

(١) انظر: تجديد الخطاب الديني بين الاعتصام بالأصول والتحريف، دراسة مقارنة: أبكر آدم، مركز جيل البحث العلمي – مجلة جيل الدراسات المقارنة– العدد ٤، أبريل ٢٠١٧، ص٢٦.

وَيُقَالُ: مَرَّ يَظِفُهُمْ، أَيْ يُتْبِعُهُمْ كَأَنَّهُ يَجْعَلُ وَظِيفَهُ بِإِزَاءِ أَوْظِفَتِهِمْ، ووَظَفَ الشيءَ عَلَى نَفْسِهِ ووَظَّفَه تَوْظِيفاً: أَلزمها إِيَّاهُ، وَقَدْ وَظَّفْت لَهُ تَوْظِيفاً [١]

التوظيف بمعناه اللغوي يأتي من تقدير الشيء أي وضعه في مكانه المقدر له.

ويقصد الباحث في بحثه بتوظيف الخطاب العقدي: "أن يُقدر للخطاب العقدي وظيفة ومهمة مقدرة تقديرًا مناسبًا، تنبع من مقاصد الاستخلاف وعمارة الدنيا وتجسر ممرًا ممهدًا صالحًا يربط بين النصوص الشرعية وواقع المسلمين ويهدف التوظيف إلى ربط العقيدة بالسلوك والعمل"

لقد ذم كثيرٌ من أهل العلم الجدلَ، وما ليس من ورائه طائل من عمل، وما لا ثمرة له حتى ذم بعضهم علم الكلام لا لذاته ولكن لأنهم وجدوا أن مسائله ليس من ورائها عمل، فقال مالك رحمه الله: " وَلَا أُحِبُّ الْكَلَامَ إِلَّا فِيمَا تَحْتَهُ عَمَلٌ" [٢]

([١]) انظر: معجم مقاييس اللغة: مرجع سابق، ج٦/١٢٢، أساس البلاغة: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، ت: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٨م، ج٢/٣٤٣، لسان العرب: مرجع سابق، ج٩/٣٥٨.

([٢]) جامع بيان العلم وفضله: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت: ٤٦٣هـ)، ت: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، ط١، ١٩٩٤م، ج٢/٩٣٨.

حتى أن بعضهم صنف كتبًا في ذم الكلام من أجل المشاحنة والجدال ومفارقة العمل، حتى حرّم بعضهم النظر فيها بقصد صيانة الناس عن الوقوع في الفتن.[١]

وفي كل الأحوال لا يقلل هذه المسلك العقدي من جهود علماء الكلام في الرد على الزنادقة والملاحدة، ومناظرة أصحاب الديانات الأخرى بمنهج عقلي تناسب مع الآخر في منهجه وفكره؛ لكن يعيبه الانفكاك الواقع بين مسائل الاعتقاد والعمل، وما سطره بعض علماء الكلام من حواجز أبعدت المسافة بين المعتقد ولوازمه؛ فوظف الخطاب العقدي على غير المراد منه.

ويعيب ابن قتيبة رحمه الله هذا المسلك الذي لا يتوافق فيه القول مع العمل فيقول:" وكان المتناظرون فيما مضى يتناظرون في معادلة الصبر بالشكر، وفي تفضيل أحدهما على الآخر وفي الوساوس والخطرات، ومجاهدة النفس، وقمع الهوى، فقد صار المتناظرون يتناظرون في الاستطاعة والتولد،

---

(١) انظر: ذم الكلام وأهله: أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري الهروي (ت: ٤٨١هـ)، ت: عبد الرحمن عبد العزيز الشبل، مكتبة العلوم والحكم ، ١٩٩٨م، أحاديث في ذم الكلام وأهله انتخبها الإمام أبو الفضل المقرئ من رد أبي عبد الرحمن السلمي على أهل الكلام: أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن الرازي المقرئ (ت: ٤٥٤هـ)، ت: الدكتور ناصر بن عبد الرحمن بن محمد الجديع، دار أطلس للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٦م، تحريم النظر في كتب الكلام: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (ت: ٦٢٠هـ)، ت: عبد الرحمن بن محمد سعيد دمشقية، عالم الكتب، ط١، ١٩٩٠م.

والطفرة، والجزء والعرض والجوهر فهم دائبون يخبطون في العشوات، قد تشعبت بهم الطرق وقادهم الهوى بزمام الردى"[١]

فالعبارة تدل على ترابط العقيدة بالسلوك والعمل وكيف تُجاهد النفس، ويُقمع الهوى، وتُكف الخواطر بدفع الوساوس، وكل ذلك أعمال قلبية تؤثر على السلوك وعمل الجوارح فتقودها إلى فعل الطاعة أو تكفها عن ارتكاب المعصية، فيتسم ساعتها الخطاب العقدي بالواقعية.

وفي نفس الوقت الذي ينبغي للخطاب العقدي أن يتجه نحو الواقعية، فإنه ينبغي له أن يلفت النظر إلى الغيبية والتي تعني أن قدر الله الغيبي هو الذي يؤثر في مجريات الأحداث، وليس مجرد القوانين والأسباب، فقد تتدخل قوة الله الغيبية بنصرة المؤمنين وخذلان الكافرين، وقد يتدخل القدر الغيبي بإهلاك الكفار المعاندين، والعصاة الغاليين، وقد تأتي خوارق العادات كرامات تؤيد الدعوة والدعاة إلى الله. [٢]

٢- سبب الدعوة إلى توظيف الخطاب العقدي:

بعد ما تبين لنا مقصد توظيف الخطاب العقدي ومراد الباحث منه نبين سبب هذه الدعوة إلى توظيفه الخطاب العقدي بما يليق به وما تستلزمه حاجات

---

(١) الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)، ت: عمر بن محمود أبو عمر، دار الراية، ط١، ١٩٩١ م، ص ١٩.

(٢) الخطاب العقدي في القصة القرآنية بين الواقعية والغيبية وتطبيقاته في العصر الحاضر: شريف بن الشيخ صالح أحمد، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، جامعة آل البيت، عدد١، مجلد١٢، ٢٠١٦م، ص٣٠٩.

المجتمع والأمة، ومراعاة لواقعها وبيئتها، والمحيط بها من أحداث وقضايا غيرت في بناء الأمة الفكري وأثرت في تجاوبها مع نصوص الوحي.

ولهذا الدعوة أسباب نجملها في النقاط التالية:

١- وجود حالة من الانفكاك والانفصال بين الأمة وخطابها الديني عمومًا وخطابها العقدي خاصة فلا يتوازى الخطاب مع مجريات الحياة وتطورها.

٢- وجود حالة من الضغط الفكري على المسلمين بسبب حالة من التسويق الممنهج لأفكار وآراء منحرفة وتصويرها بأنها الإسلام ومعتقد أهله، مما جعل الإسلام في قفص الاتهام والمسلمين في سجون بناها خطابهم العقدي غير الموظف.

٣- ضعف الخطاب العقدي التقليدي، فالخطاب العقدي يتجاذبه فرق وتيارات مختلفة كل منها يسوق خطابه الذي يوظفه ويؤسسه من الهوى والتشهي أو الانتصار لفرقته التي ينتمي إليه، ويمكن أن نعرض لسمات خطاب هذه التيارات على النحو التالي:

أ- نجد **الخطاب الكلامي** التراثي صعب اللغة، كثير الجدل، بعيدًا عن العمل، قريبًا من التنظير على حساب التطبيق، لا يواكب قضايا العصر وحاجته ولا ثقافة أهله.

ب- نجد **الخطاب الصوفي العقدي** تغلب عليه الإشارة والتصورات البعيدة عن أفهام العوام أو حتى على غير أهل هذا الطريق.

ت-ونجد **الخطاب العقدي العقلاني** القديم كالمعتزلة والجديد كالمدارس العقلية الحديثة تتكلف في تفسير النصوص وتحاكم

النقل إلى العقل؛ فتنشر خطابها العقدي ليوافق مراد هذه المدرسة ومـن ناحيـة أخـرى يتعـذر علـى غيـر المختصـين فهمـه أو مدارسته.

ث- نجد **المدرسة السلفية المعاصرة** ضخمت قضايا نظرية، ونصبت عليها الولاء والبراء، ونسجت حول نفسها من العصمة ما لا ينبغي إلا للمنهج لا للأفراد، وشغلت نفسها بقضايا ومعارك لا ثمرة منها إلا الانتصار لأفكارها ومعتقدها ولم يراعوا أحوال المخاطبين ولا لغة الخطاب العصري، ولا حاجة الناس إلى التربية العقدية.

٤- ضعف وسائل الخطاب العقدي التقليدي مع تعدد وتنوع هذه الوسائل في عصر التقنيات الحديثة.

٥- حاجة الأمة والعالم بأثره إلى خطاب عقدي موظف ينتشل الحضارة الإنسانية من مستنقع النفعية والمادية المعاصرة المفرطة بسب قسوة قلوب أهل هذه الأزمة.

٦- توضيح محاسن الإسلام ونشر هذه المحاسن عن طريق ربط المعتقد بالسلوك، ومعالجة العقيدة لأمراض العالم الاجتماعية وتقويم مسارات الحضارة الإنسانية المعوجة.

فربطُ قضانا السلوك بالمعتقد، على أنها أثر من آثار الإيمان الصحيح، بل من لوازمه، قال سبحانه: {وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ } [الأعراف: ٥٨]، وقال تعالى: { أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ

وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} [إبراهيم: ٢٤-٢٥]، فإغفال جانب التأسيس العقدي لكثير من الأمور العملية السلوكية كان سببًا في هذا الواقع المرير الذي يعيشه المسلمون. [١]

ومن هنا يتضح معنى وغاية وفكرة توظيف الخطاب العقدي فيعرفها الباحث: "هي عملية معالجة مقصودة لوسائل وأساليب نشر المعتقد الإسلامي على مستوى أهل الإسلام وغيرهم من أصحاب الديانات والمذاهب المخالفة، على أن يتصف هذا التوظيف بالأصالة والمعاصرة، فهو اصيل من ناحية ثبوته ودلالته ومعاصر من ناحية أساليبه وطرحه."

أنموذج لتوضيح فكرة توظيف الخطاب العقدي:

نضرب مثالًا؛ لنوضح به توظيف الخطاب العقدي، حيث يمكن اعتبار معتقد "أسماء الله سبحانه وتعالى الحسنى"، مدرسة تربوية وسلوكية شاملة تغطي كافة مناحي السلوك الإنساني التي تحتاجها البشرية لتعديل مسارها وضبط سلوكها الإنساني والأخلاقي على حد سواء؛ ولندلل على أهمية وضرورة توظيف الخطاب العقدي في أسماء الله الحسنى، علينا أن نقارن بين طرحين أحدهما تراثي قديم والآخر جديد، ثم نقدم تصور لتوظيف الخطاب العقدي لنفس الاسم.

---

(١) الخطاب العقدي بين الأصالة والمعاصرة: عثمان علي حسن، مجلة الشريعة والقانون، جامعة إفريقيا العالمية، عدد٥، ٢٠٠٥، ص٧٠.

ونستعرض قراءة الطرحين لأحد أسماء الله الحسنى وهو " المصور" سبحانه:

١- الطرح الأول من خلال كتاب الأسماء الحسنى للبيهقي.

٢- الطرح الثاني من خلال كتاب ولله الأسماء الحسنى عبد العزيز بن ناصر الجليل.

أولاً: الطرح الأول: من خلال كتاب الأسماء الحسنى للبيهقي:

ذكر البيهقي رحمه الله : وَمِنْهَا «الْمُصَوِّرُ» قَالَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: {هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ} [الحشر: ٢٤] وَرُوِّينَاهُ فِي خَبَرِ الْأَسَامِي قَالَ الْحَلِيمِيُّ: مَعْنَاهُ الْمُهَيِّئُ لِمَنَاظِرِ الْأَشْيَاءِ عَلَى مَا أَرَادَهُ مِنْ تَشَابُهٍ أَوْ تَخَالُفٍ , وَالِاعْتِرَافُ بِالْإِبْدَاعِ يَقْتَضِي الِاعْتِرَافَ بِمَا هُوَ مِنْ لَوَاحِقِهِ، قَالَ الْخَطَّابِيُّ: الْمُصَوِّرُ الَّذِي أَنْشَأَ خَلْقَهُ عَلَى صُوَرٍ مُخْتَلِفَةٍ لِيَتَعَارَفُوا بِهَا , وَمَعْنَى التَّصْوِيرِ التَّخْطِيطُ وَالتَّشْكِيلُ، وَخَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْإِنْسَانَ فِي أَرْحَامِ الْأُمَّهَاتِ ثَلَاثَ خَلْقٍ يُعْرَفُ بِهَا وَيَتَمَيَّزُ عَنْ غَيْرِهِ بِسِمَتِهَا، جَعَلَهُ عَلَقَةً، ثُمَّ مُضْغَةً، ثُمَّ جَعَلَهُ صُورَةً، وَهُوَ التَّشْكِيلُ الَّذِي يَكُونُ بِهِ ذَا صُورَةٍ وَهَيْئَةٍ: {فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ}[المؤمنون: ١٤].[1]

([1]) الأسماء والصفات للبيهقي: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، ت: عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي، ط١، ١٩٩٣ م، ج١/٧٩.

ثم ذكر من طريقه حديث عائشة رضي الله عنها المشهور في تحريم التصاوير. [1]

التحليل:

ذكر البيهقي معنى "المصور"، ونقل كلام الحليمي والخطابي، وجعل معاني المصور من لوازم الإيمان باسم المبدع، وذكر مراحل الخلق الثلاث وأطال في ذكر حديث تحريم التصاوير وتحريم التصوير؛ فيتضح أن خطاب البيهقي خطابٌ وصفيٌ يذكر فيه الاسم، ولم يذكر لوازمه ومقتضى الإيمان به، وهذا المسلك يكثر في المذهب السلفي التراثي في تقرير الأسماء، ربما منعهم الخوف والحذر والحيطة من الابتداع من التفصيل في المقتضى واللوازم والتربية السلوكية التي يحدثها الاعتقاد وتُبنى عليه، وكان هذا المنهج سائد حتى في التقارير العقدية والألفاظ العقدية، حيث ظهر منهج السلف في عدم وصف الله أو تسميته إلا بما هو ثابت حتى منع بعضهم أو أكثرهم الاشتقاق في أسماء الله الحسنى مخافة الوقوع في مشكلة الألفاظ المحدثة.

---

(1) أخرجه البخاري، كتاب البيوع، باب التجارة فيما يكره لبسه للرجال والنساء، رقم (٢١٠٥)، ج٣/٦٣، ومسلم، كتاب في اللباس والزينة، باب تحريم تصوير صورة الحيوان، رقم (٢١٠٧)، ج٣/١٦٦٦، أحمد، لْمُلْحَقُ الْمُسْتَدْرَكُ مِنْ مُسْنَدِ الْأَنْصَارِ بَقِيَّةُ خَامِسَ عَشَرَ الْأَنْصَارِ، مُسْنَدُ الصِّدِّيقَةِ عَائِشَةَ بِنْتِ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، رقم (٢٤٢١٨)، ج٤٠/٢٦٤.

ثانيًا: الطرح الثاني: من خلال كتاب "ولله الأسماء الحسنى" لعبد العزيز بن ناصر الجليل

من آثار الإيمان باسمه سبحانه "المصور":

ما ذكر من الآثار في اسمه سبحانه "الخالق" يصلح أن يذكر هنا، ويضاف إلى ذلك ما يلي:

" قد امتنَّ الله علينا بأنه صورنا فأحسن صورنا: {وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ} [غافر: ٦٤]،

وتصويرنا الذي امتن الله علينا به يتمُّ على وجهين، الأول: تصوير أبينا آدم – عليه السلام – فقد خلقه الله تبارك وتعالى بيده، وصوره، ثم نفخ فيه الروح، وأسجد له ملائكته: {وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ} [الأعراف: ١١].

والتصوير الثاني لبني آدم، وهو الذي تم في الأرحام: {هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [آل عمران:٦].

ثم ذكر الإعجاز في التصوير واختلاف المخلوقات والتباين بين الخلائق في هذا التصوير، ثم ذكر منع التصوير وتحريمه. [١]

---

(١) ولله الأسماء الحسنى: عبد العزيز بن ناصر الجليل، دار طيبة، ط٤، ٢٠١٢، ص٤٤٤.

التحليل: الطرح الثاني يفرد عنوانًا للآثار الإيمانية وهو مسلكٌ محمودٌ يحتاج إلى التوسع فيه ووضح منهج لاستنباطه واستخلاص الدلالات الإيمانية منه؛ لكنه لم يوظف هذه الآثار ولم ينوعها ولم يذكر كيفية الاستفادة منها في التأثير على السلوك أو مخاطبة الآخر.

توظيف الخطاب في أسم الله المصور:

أولا: معنى اسم الله تعالى المصور (الأصالة):

ذكرت كتب التفاسير وكتب الأسماء والصفات معان مختلفة قد ترجع كلها إلى قسمين على النحو التالي:

١- **المصور لما في الأرحام** وبه قال ابن عباس [١]، ومقاتل [٢]، وغيرهم، والماوردي وقال: فيه وجهان: أحدهما: لتصوير الخلق على مشيئته. الثاني: لتصوير كل جنس على صورته.[٣]

(١) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس: عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – (ت: ٦٨هـ)، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي(ت: ٨١٧هـ)، دار الكتب العلمية، ص ٤٦٦.

(٢)تفسير مقاتل بن سليمان: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي(ت: ١٥٠هـ)، ت: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث، ٢٠٠٢، ج٤/٢٨٦.

(٣) تفسير الماوردي (النكت والعيون): أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت:٤٥٠هـ)، ت: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية.

٢- المصور لخلقه بتمايز هيئاتهم وتنوعها على الصور التي شاء سبحانه وبه قال البغوي[١] والرازي [٢] والقرطبي [٣] الخازن[٤] ابن كثير [٥] الألوسي [٦] وغيرهم.

وثبت من السنة عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لَمَّا صَوَّرَ اللهُ آدَمَ فِي الْجَنَّةِ تَرَكَهُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَتْرُكَهُ، فَجَعَلَ إِبْلِيسُ يُطِيفُ بِهِ، يَنْظُرُ مَا هُوَ، فَلَمَّا رَآهُ أَجْوَفَ عَرَفَ أَنَّهُ خُلِقَ خَلْقًا لَا يَتَمَالَكُ" [١]

---

(١)تفسير البغوي (معالم التنزيل في تفسير القرآن): محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي(ت: ٥١٠هـ)، ت: محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة، ط٤، ١٩٩٧م، ج٨/٨٨.

(٢)مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٩٩م، ج٢٩/٥١٤.

(٣)تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن): أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، ط٢، ١٩٦٤ م، ج١٨/٤٨.

(٤) لباب التأويل في معاني التنزيل: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت: ٧٤١هـ)، ت: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٤، ج٤/٢٧٨.

(٥) تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم): أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، ت: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٨م، ج٨/١٠٩.

(٦) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، ت: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، ١٩٩٤م، ج١٤/٢٥٧.

وحديث علي بن أبي طالب في الاستفتاح مرفوعًا وفيه "وَإِذَا سَجَدَ قَالَ: "اللَّهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ فَصَوَّرَهُ فَأَحْسَنَ صُوَرَهُ، فَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ..." [٢]

ثانيًا: توظيف معنى اسم الله "المصور" في الخطاب العقدي (المعاصرة وباقي الخصائص):

في ضوء الفهم المتصل لتوظيف الخطاب العقدي السابق عرضه ومن خلال استعراض حاجة المجتمع لخطاب يتعلق بمعالجة المشكلات الاجتماعية وبناء جسور حضارية لتوضيح محاسن الإسلام، وباعتبار أن أسماءه عز وجل الحسنى هي أعلام وأوصاف، والوصف بها لا ينافي العلمية بخلاف أوصاف العباد فإنها تنافي علميتهم، والاسم من أسمائه له دلالات؛ دلالة على الذات والصفة بالمطابقة، ودلالة على أحدهما بالتضمن، ودلالة على الصفة الأخرى باللزوم، ولها اعتباران اعتبار من حيث الذات واعتبار من حيث الصفات فهي بالاعتبار الأول مترادفة وبالاعتبار الثاني متباينة. [٣]

==

(١) أخرجه كتاب مسلم كتاب البر والصلة والآداب، باب خلق الإنسان خلقًا لا يتماسك، برقم (٢٦١١)، ج٤/٢٠١٦، أحمد في المكثرين من الصحابة، مسند أنس بن مالك رضي الله عنه، برقم (١٢٥٣٩)، ج٢٠/١٦

(٢) أخرجه، مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الصلاة في قيام الليل وقيامه، رقم (٧١١)، ج١/٥٣٤، الترمذي في أبواب الدعوات، باب منه، رقم (٣٤٢١)، ج٥/٤٨٥، أحمد، مسند الخلفاء الراشدين، مسند علي بن أبي طالب رضي الله عنه، برقم (٧٣٩)، ج٢/١٣٢.

(٣) بدائع الفوائد: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت:٧٥١هـ)، دار الكتاب العربي، ج١/١٦٢.

ولما كان كل اسم من أسماء الله يدل على معنى الذي نسميه "الصفة" فلذلك كان لزامًا على من يؤمن بأسماء الله تعالى أن يراعي الأمور التالية:

أولاً: الإيمان بثبوت ذلك الاسم لله عز وجل.

ثانيًا: الإيمان بما دل عليه الاسم من المعنى أي "الصفة".

ثالثاً: الإيمان بما يتعلق به من الآثار والحكم والمقتضى. [١]

يتجه الخطاب في توظيفه إلى فئتين رئيستين من المخاطبين، وهما المستوى الداخلي (أهل الإسلام)، والأخر الخارجي (غير المسلمين أو عالمية الخطاب)، ويتوظف الخطاب طبقًا لأحوال المخاطبين على النحو التالي:

أولا المستوى الداخلي (أهل الإسلام):

يتيقن العبد أن سائر أسماء الله تعالى يجري منها أكملها وأحسنها وما لا يقوم غيرُهُ مقامه،[٢] ومعرفة أن الله سبحانه هو مُوجِد الصور وأن تخصيصها بلا

---

(١) معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات: محمد بن خليفة بن علي التميمي، أضواء السلف، ط١، ١٩٩٩م، ص٣٥.

(٢) فائدة جليلة في قواعد الأسماء الحسنى: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، ت: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، غراس، ط١، ٢٠٠٣م، ص٤٣.

علاجٍ ولا واسطةٍ ولا مثالٍ على وِفْقِ مشيئته، [1] وأنه جل في علاه الْمُشَكِّلُ لكل موجود على الصورة التي أَوْجَدَهُ عليها [2]

ومن الدلالات والمقتضى وما يلزم منه اسم الله سبحانه وآثار هذه الاسم:

- دلالتها على الذات مطابقة فهو سبحانه المصور، ودلالتها على الصفات المشتقة منها تضمنًا فهو الذي يصور خلقه ويشكلهم كيف يشاء، ودلالتها على الصفات التي اشتقت منها التزاما كالقدرة والإرادة وغيرها.
- إنه جل في علاه قد تفضل على خلقه وعباده بأنه صورهم فأحسن صورهم: {وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ} [غافر: ٦٤]، وهذه من النعم التي توجب الشكر المستمر.
- تدعيم الإيمان بقدرة الله المطلقة في الخلق والإيجاد فهو المصور لكل خلقه سبحانه فيزداد أهل الإسلام إيمانًا بخالقهم وربوبيته.
- يستلزم الإيمان باسم الله المصور ألا يسخر قوم من قوم بسبب الخلقة فكلٌ من عند الله، فهذه الصور التي يُسخر منها إنما هي خلق الله تعالى بقدرته وإرادته.

---

(١) الأسماء الحسنى: أبو عبد الله محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي، التلمساني الجزائري (ت:٨٩٥ هـ)، ت: نزار حمادي، مؤسسة المعارف، ص٢٣.

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٩٩٥م .

- دفع الافتتان بالصور وإزالة الكبر من قلوب أصحابها؛ حيث لا دخل لهم بتصويرها وإحداثها بهذه الكيفية، فالأمر كله لله يخلق سبحانه ويصور كيف يشاء.
- ألا يتحاكم الناس إلى الصور، فالناس كلهم لآدم عربهم وعجمهم أبيضهم واسودهم.
- بث السلامة النفسية والطمأنينة الوجدانية لأفراد المجتمع المسلم إذا علموا أن الله هو الذي يصورهم كيف يشاء فلا شأن للأفراد بهذا التصوير وتلك الخلقة.
- الإيمان باسم الله المصور واليقين به يعزز الإيمان بالقدر وإنَّ ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولا يخرج عن ملك الله شيءٌ ولا يكون في ملكه إلا ما أراد.

ثانيًا: المستوى الخارجي (عالمية الحطاب):

يخبر الأخر بمعنى الاسم فيقال لهم: إن الله هو الذي صور جميع خلقه بقدرته وبمشيئته وبإرادته المطلقة وله في ذلك حكم بعضه نعرفه وبعضها لا.

ومن الدلالات والمقتضى وما يلزم منه اسم الله سبحانه وآثار هذه الاسم:

- يعلم بأن الاسم يدل على الإعجاز في الخلق؛ لأنه يوجد على الأرض عدد لا يحصى من الخلائق أجناسًا وأنواعًا كلها متباينة حتى وإن كانت من نفس النوع، لو نظرنا إلى الإنسان فقط وتتبعنا الفوارق بين كل إنسان وآخر لظهر الفارق في بصمة اليد وبصمة العين وبصمة الأذن، والهيئات المختلفة، والجينات الوراثية المتباينة،

وكيف يدل هذا التصوير على الإبداع منقطع النظير الذي يدل على وحدانية الله واتقانه لخلقه.

- إن دلالة هذا الاسم تقتضي رفض العنصرية النابعة من اختلاف اللون، أو الشكل، أو الجنس، أو العرق وأن أهل الإسلام يؤمنون بأن خالقهم هو الذي يصور عباده فلا يترتب حكمٌ باختلاف هذه الصور فيساوي بين الناس مع اختلاف صورهم فيقضي على الدعوات العنصرية المنتشرة في الغرب.
- إظهار محاسن الإسلام وكيف يستوي لديه الأحمر والأسود، والعربي والعجمي وأن الله لا ينظر إلى صور عباده، بل إلى قلوبهم وأعمالهم.
- توضيح أن الإسلام دين يدعو إلى العدالة والمساواة الحقة بين الأمم المختلفة والمتباينة.

خلاصة: فيحاول البحث طرح منهج توظيف الخطاب العقدي على أن يتميز بخصائص منها:

1-الأصالة بمعنى ألا يخرج الباحث أو أن يحيد عن الثبات العقدي من ناحية المفاهيم الأصيلة ومنهج أهل العلم من علماء الأمة، ومنهج السلف الصالح من الصحابة والتابعين والقرون الخيرية في فهم هذه النصوص.

2-والمعاصرة في معالجة قضايا الأمة بخطاب عقدي له معالجة آنية لأحداث العالم وأفهام الناس.

3-مراعاة المخاطبين في أن يراعي أفهام المخاطبين وأحوالهم والاتساق بين الخطاب وواقع الأمة وحاجتها بحيث يكون الخطاب مثمرًا ومنتجًا.

4-التطور التقني في استخدام وسائل وتقنيات تيسر فهم هذا قضايا ومباحث الاعتقاد التي **عقّدها** الطرح الكلامي والفلسفي، **وصعّبها** الطرح الصوفي الإشاري، و**جمّدها** الطرح السلفي المعاصر.

5-عالمية الخطاب من خلال استخدام الآلات الإعلامية الرسمية، ووسائل التواصل الاجتماعي والمحافل الدولية؛ لنشر هذا الخطاب في مواجهة تصدير خطاب الكراهية والعنف.

6-له غاية في أن يظهر الخطاب محاسن الإسلام عن طريق عرضه على الآخر أو في سياقات الخطاب الأممي في المحاقل الدولية، وأن يعالج الأمراض الاجتماعية الكبرى.

7-خطاب تطبيقي فيعتمد الخطاب دائمًا على ربط العقيدة بالسلوك العملي.

8- أن يتلاشى عيوب الخطاب العقدي الذي تستخدمه التيارات والفرق الإسلامية المختلفة من عيوب متعلقة بطريقة وأسلوب الطرح المعقد، أو المتعلق بالمحتوى المنحرف المضلل أو انفصال خطابها عن الواقع.

9-يراعي هذا الخطاب منظومة التغذية الراجعة التي سبق وأن عُرضت في مقدمة البحث.

ونعرض فيما يلي لمحاور عمارة الدنيا وتوظيف خطاب عقدي من مشاهد الآخرة يعزز هذه القيم وتلك المحاور وهي الضبط الاجتماعي، والتنمية، والكلمة السواء.

المبحث الأول: الضبط الاجتماعي:

المطلب الأول: تعريف الضبط الاجتماعي

يتباين مفهوم الضبط الاجتماعي في العلوم الإنسانية باختلاف مضامين هذا العلم ويختلف بين رواد علم الاجتماع طبقًا للتوجه النظري الذي ينطلق منه صاحب التعريف، فينطلق التعريف من واقع النظرية المستمد منها، ومع تعدد النظريات الاجتماعية تتعد تعريفات الضبط الاجتماعي وكلها يدور في فلك التحكم المجتمعي في مسلك وسلوك أفراده انطلاقًا من الأُسر الصغيرة أو الأَسر النووية الممتدة إلى المجتمعات المحلية ثم المجتمعات الكبرى ثم المجتمع العالمي بأثره طبقا للقواسم المشتركة بين مجتمعاته المختلفة وبنائها الوظيفي.

ويقصد بالضبط الاجتماعي بشكله الواسع: تلك العمليات والإجراءات المقصودة وغير المقصودة التي يتخذها مجتمع ما أو جزء من هذا المجتمع لرقابة سلوك الأفراد فيه والتأكد من أنهم يتصرفون وفق المعايير والقيم والنظم التي رسمت لهم.(١)

فهو سلطة ضابطة للسلوك الاجتماعي، ووسائله تتمثل في، الدين، والقانون، والآداب العامة، والأعراف، والعادات، والتقاليد، أو هو تماسك اجتماعي يؤهل جميع أفراد المجتمع للقيام بأدوارهم وتحقيق أهدافهم، وفق

---

(١) معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية: أحمد زكي بدوي، مكتبة لبنان، ص٣٨٣.



المعـايير السـائدة التـي تـنظم حركـة الأفـراد ضـمن دائـرة القـانون، والقـيم والعادات، والتقاليد، والأعراف.[١]

وللضبط الاجتماعي أنواع ووسائل مختلفة على النحو التالي:

أنـواع الضـبط الاجتمـاعي: تتعدد آليات الضبط الاجتماعي داخل المجتمع الواحد، وذلك في نوعين: **الضـبط الاجتمـاعي الرسـمي** وهو الذي تقوم به المؤسسات الرسمية للمجتمع ويطلق عليه عند البعض الرقابة الاجتماعية الرسمية، ولها ضوابطها الخاصة، وغالبًا ما نجد لها أدواتها التي تعمل من خلالها سواء أكانوا أفرادًا أم هيئات، وتعمل وفق معايير ثابتة ومحددة لدى من يزاولها. إما تعمل المجتمعات بمؤسساته الرسمية على وضع تشريعات الهدف منها ضبط سلوك الأفراد، وذلك بإظهار الأساليب الردعية، ويعمل هؤلاء الأفراد والمؤسسات بصفة رسمية ولهم حق ممارسة الضبط الذي يجيزه القانون، والنوع الآخر: من أنواع الضبط هو **الضـبط الاجتمـاعي غيـر الرسمي**، ويبرز هذا النوع بين أفراد المجتمع، وعادة ما يظهر نتيجة التفاعل الاجتماعي اليومي، وتقوم به بعض أبنية المجتمع وبصفة غير رسمية. [٢]

وتختلف وسائل الضبط الاجتماعي من مجتمع إلى آخر حيث إن لكل مجتمع وسائل ضبط اجتماعي خاصة به، ويتوقف استخدام تلك الوسائل

---

(١) القيم والمعايير والضبط الاجتماعي دراسة نظرية عن الواقع العراقي: شاكر حسين الخشالي، مجلة العلوم والتربية النفسية، الجمعية العراقية للعلوم التربوية والنفسية، عدد١١٣، ص٣٩٥.

(٢) الضبط الاجتماعي والمجتمع دور العرف والدين كقيم اجتماعية في ضبط المجتمع: مختار محمد سالم، مجلة جامعة الزيتونة، جامعة الزيتونة، عدد ٨، ٢٠١٣، ص١٣٧.

علي عدة أمور منها: نوع الثقافة السائدة بالمجتمع، وطبيعة وبناء المجتمع من حيث البساطة والتعقيد، فالوسائل والأساليب الرسمية توجد في المجتمعات والمدن الكبري والجماعات الكبيرة التي تشرف عليها أجهزة وإدارات متخصصة، وذلك بعكس الوسائل والأساليب غير الرسمية التي توجد في الجماعات الأولية التي تقوم علي العلاقات الشخصية مثل الأسرة والقبيلة. [١]

ويهدف الباحث إلى استعراض محاور أو قيم الضبط الاجتماعي العالمي أو الأممي التي تهدف إلى إقامة الحضارة وعمارة الدنيا ثم يستلهم من الخطاب العقدي ما يوظفه لرعاية هذه القيم وتعاهدها، وما يدعمها ويؤثر فيها من مشاهد الآخرة ويستعرض ذلك في المطلب التالي.

المطلب الثاني: محاور وقيم الضبط الاجتماعي في عمارة الدنيا وأثر مشاهد الآخرة في تحقيقها:

تتنوع قيم الضبط الاجتماعي من مجتمع إلى آخر ومن بيئة اجتماعية إلى أخرى حيث تظهر هذه القيم وتترعرع في حاضنة خاصة تتمثل في ثقافة المجتمع وضميره الجمعي إلا أنه هناك من القيم التي تعلو على مجرد النسج المجتمعي، فهي أعم وأشمل من هذا التأثير الضيق مما يحق لنا تسميتها بقيم ضبط عالمية النشأة، ونستطيع أن نضعها في فئة القيم العالمية المتفق

---

(١) دراسة القضاء العرفي كآلية للضبط الاجتماعي بمحافظة شمال سيناء: حسين محمد تهامي، مجلة اتحاد الجامعات العربية للعلوم الزراعية، جامعة عين شمس، مجد ٢١، عدد ٢، ٢٠١٣، ص١٢٢.

عليها، **ومن هذه القيم التي تعزز الضبط الاجتماعي وتؤسسه التكافل والعدالة الاجتماعية والتعايش والعدل ونعرضها على النحو التالي:**

المسألة الأولى: التكافل والعدالة الاجتماعي:

التكافل الاجتماعي من القيم العالمية وإن طغت عليها الحضارات المادية المفرطة في ظل هذا الصراع مع القيم المادية والنفعية المتسلقة على جُدر هرم القيم الإنسانية؛ لكن تظل قيم التكافل تجد نفسها متربعة على عرش القيم الإنسانية المشتركة رغم التزاحم المفرط العنيف من قيم الحضارات المادية الجديدة المختلفة والمتنوعة.

ويتراءى لي مشهدان من مشاهد الآخرة هما أكثر وضوحًا من غيرهما في تدعيم قيم التكافل والعدالة الاجتماعية وهما:

المشهد الأول: هول المحشر المهيب العصيب وأعمال تخفف من شدته:

مشاهد القيامة مفزعة مروعة، أرض تدفع ما فيها بأمر وإذن باريها، فناهيك من صَيْحَة يقوم لَهَا الأموات، وتحيا بهَا الْعِظَام الرفات، وحسبك من هدة تنهد لَهَا الْجبَال وتعود كالكثيب المهيل من الرمال كَمَا قَالَ عز وَجل: { يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيل} [المزمل: ١٤] {يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (٤) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ} [القارعة:٤، ٥]

وَهَذِه أهوال لَا بُد من مكابدتها وأحوال لَا بُد من مشاهدتها، يخرج سهمك فِيهَا بِمَا خرج ويلج بك سعيك مِنْهَا فِيمَا يلج، فإمَّا بنزول فِي دَرك وَإِمَّا بارتقاء فِي درج، وتخيل قيام النَّاس وثورانهم من قُبُورهم دفْعَة وَاحِدَة، وانبعاثهم بِمرَّة وَاحِدَة، وَأَنت بَينهم وَفِي جُمْلَتهمْ منكسفًا وَجهك، متغيرًا لونك، متعثرًا قدمك،

قد مَلأ قَلْبك الْفَزع وقصم ظهرك ذَلِك المستمع، وأنت حيران عطشان سَكرَان شاخص الْبَصَر نَحْو النداء مستمعًا إِلَى ذَلِك الدُّعَاء وَلَو وجدت مطارًا لطرت، ومفرًا لفررت، قال تعالى: {يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ كَلَّا لَا وَزَرَ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ}[القيامة: ١٠ – ١٣]

أما تقلب الْقُلُوب فانتزاعها من أماكنها فتغص بهَا الْحَنَاجِر فَلَا هِيَ تخرج وَلَا هِيَ ترجع إِلَى موَاضعهَا، قَالَ الله تَعَالَى: {وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ} [غافر: ١٨]، فتفكر فِي بهتك وحيرتك وانكسارك وذلتك وافتقارك وقلتك؛ يَوْم لَا تَجِد إِلَّا عَمَلك الَّذِي عملت وسعيك الَّذِي سعيت، قَالَ الله تَعَالَى: {يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ}[آل عمران: ٣٠][١]

ولولا هول هذا اليوم وشدته ما اقسم عمر رضي الله عنه وهو على فراش الموت إذ قال:" وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، لَوْ أَنَّ لِي مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ صَفْرَاءَ وَبَيْضَاءَ لَافْتَدَيْتُ بِهِ مِنْ هَوْلِ الْمَطْلَعِ"[٢]

---

(١) العاقبة في ذكر الموت: عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسين بن سعيد إبراهيم الأزدي، الأندلسي الأشبيلي، المعروف بابن الخراط (ت: ٥٨١هـ)، ت: خضر محمد خضر، مكتبة دار الأقصى، ١٩٨٦، ص ٢٦٥، بتصرف.

(٢) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، ت: أحمد عصام الكاتب، دار الآفاق الجديدة، ط١، ١٩٨٠م، ص٣٦٣، وهو عند الحاكم في المستدرك، كتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم، باب مقتل عمر رضي الله عنه، رقم (٤٥١٥)، ج٣/٩٨،

وهناك من الاعمال ما تخفف هول يوم الحشر وشدته ومن هذه الأعمال:

١- الصدقة:

فعندما يكون الناس تحت لهيب الشمس الدانية، يذوقون ويلات البلاء ويتجرعون الكُرب وبعض العذاب، يكون فريق من المصطفين هانئين في ظل عرش الملك الجبار الرحيم الرحمن، لا يكابدون المشقة والبلاء الذي يعاينه الآخرون ومن هؤلاء الصنف أصحاب الصدقات.

دليله: ففي الحديث عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ" (١)

وجاءت لفظة " بِصَدَقَةٍ" نَكرَة ليشمل كل ما يتصدق به من قليل وكثير وظاهره أيضا يشمل المندوبة والمفروضة لكن نقل "النووي" عن العلماء أن إظهار المفروضة أولى من إخفائها.(٢)

فدل ذلك على أنها المندوبة وليست المفروضة أي الصدقة المطلقة وهي غير الزكاة المفروضة وإن أطلق عليها أيضًا الصدقة.

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الزكاة، باب الصدقة باليمين، رقم (١٤٢٣)، ج٢/١١١، ومسلم كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة، رقم (١٠٣١)، ج٢/٧١٥.

(٢) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، ج٢/١٤٦.

٢- إمهال المعسر أو التجاوز عنه:

وينعم بظل عرش الرحمن مع من ينعم الله عليهم، ويدفع عنهم بعض أهوال القيامة ممن يمهل المدينين، ويتجاوز عن المعسرين؛ فيكرمه الله ويفرج عنه بعض الكرب لما فرج عن عباده في الدنيا.

دليله: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا، أَوْ وَضَعَ لَهُ، أَظَلَّهُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ تَحْتَ ظِلِّ عَرْشِهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ" [١]

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي قَتَادَةَ، أَنَّ أَبَا قَتَادَةَ، طَلَبَ غَرِيمًا لَهُ، فَتَوَارَى عَنْهُ ثُمَّ وَجَدَهُ، فَقَالَ: إِنِّي مُعْسِرٌ، فَقَالَ: آللَّهِ؟ قَالَ: آللَّهِ؟ قَالَ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: "مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنْجِيَهُ اللهُ مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَلْيُنَفِّسْ عَنْ مُعْسِرٍ، أَوْ يَضَعْ عَنْهُ"

وفي لفظ فَبَكَى أَبُو قَتَادَةَ ثُمَّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " مَنْ نَفَّسَ عَنْ غَرِيمِهِ أَوْ مَحَا عَنْهُ كَانَ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"[٢]

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب البيوع، باب في إنظار المعسر والرفق به، رقم (١٣٠٦)، ج٣/٥٨٩١، أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة، رقم (٨٧١١)، ج١٤/٣٢٩، والبيهقي في شعب الإيمان، رقم (١٠٧٣٦)، ج١٣/٥٣٢ وهو عند مسلم من طريق عبادة ابن الصامت وفيه لفظ الحديث المشار إليه رقم (٣٠٠٦)، ج٤/٢٣٠١، وعند غيرهم.

(٢) أخرجه أحمد باللفظ الأخير في تتمة مسند الأنصار، مسند أبي قتادة، رقم (٢٢٥٥٩)، ج ٣٧/٢٥١، مسلم باللفظ الوارد أولا في كتاب المساقاة، باب فضل إنظار المعسر، رقم (١٥٦٣)، ج٣/١١٩٦.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: " إِنَّ رَجُلًا لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، كَانَ يُدَايِنُ النَّاسَ، فَيَقُولُ لِرَسُولِهِ: خُذْ مَا تَيَسَّرَ، وَاتْرُكْ مَا عَسُرَ، وَتَجَاوَزْ لَعَلَّ اللَّهَ يَتَجَاوَزُ عَنَّا، فَلَمَّا هَلَكَ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ: هَلْ عَمِلْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ قَالَ: لَا، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ لِي غُلَامٌ، وَكُنْتُ أُدَايِنُ النَّاسَ، فَإِذَا بَعَثْتُهُ يَتَقَاضَى، قُلْتُ لَهُ: خُذْ مَا تَيَسَّرَ، وَاتْرُكْ مَا عَسُرَ، وَتَجَاوَزْ، لَعَلَّ اللَّهَ يَتَجَاوَزُ عَنَّا، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: قَدْ تَجَاوَزْتُ عَنْكَ "[١] وفيه أن الله يغفر الذنوب بأقل حسنة توجد للعبد، وذلك – والله أعلم إذا خلصت النية فيها لله – تعالى – وان يريد بها وجهه، وابتغاء مرضاته، فهو أكرم الأكرمين، ولا يجوز أن يخيب عبده من رحمته.[٢]

المشهد الثاني: ثعبان مخيف يطوق مانعي الزكاة وكانزي الأموال:

مانعوا الزكاة أو من يكنزون الأموال ولا يعطون حقها، ينكشفون لنا يوم القيامة بمشهد مخز مؤلم، يظهر له ماله الذي كنزه ورباه ونماه في الدنيا فخاف عليه فصانه من الانفاق ليعامل بخلاف مقصده، فالذي يربيه الإنسان ويحوطه ويرعاه ويخاف عليه، يبدو له يوم القيامة ليروعه ويطوقه يوم القيامة، بل تلك الشياه والأبل التي صانها ورباها لكن منع حقها، وقبض

([١]) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب حَدِيثِ الغَارِ، رقم (٣٤٨٠)، ج٤/١٧٤، مسلم في كتاب المساقة، باب فضل إنظار المعسر، رقم (١٥٦٢)، ج٣/١١٩٦، أحمد في المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة، رقم (٨٤٦٧)، ج١٤/١٢٥.

([٢]) شرح صحيح البخاري لابن بطال: ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت: ٤٤٩هـ)، ت: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، ط٢، ٢٠٠٣م، ج٦/٢١٢.

على لجامها جاءت إليه مقبلة تدهسه بخفها يوم القيامة، وأي خزي وندامة وألم وحسرة يقع فيها مانع الزكاة ومكتنز المال عن حقه.

دليله: عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مُثِّلَ لَهُ مَالُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ لَهُ زَبِيبَتَانِ يُطَوَّقُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِلِهْزِمَتَيْهِ – يَعْنِي بِشِدْقَيْهِ – ثُمَّ يَقُولُ أَنَا مَالُكَ أَنَا كَنْزُكَ، ثُمَّ تَلاَ:(لَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ)" الآيَةَ[١]

الشجاع الحية الذكر. وقيل: الحية مطلقًا، صور ماله شجاعًا، أو صير ماله علي صورة الشجاع، والأقرع الذي لا شعر علي رأسه، يريد حية قد تمعط جلد رأسه لكثرة سُمّه وطول عمره.

الزبيبتان: هما النكتتان السوداوان فوق عينيه، وهو أوحش ما يكون من الحيات، وأخبثها، وقيل: هما الزبدتان تكونان في الشدقين إذا غضب، يطوقه، أي يجعل طوقًا في عنقه، كأنه قيل: يجعل كالطوق في عنقه، واللهزمة: اللحى وما يتصل به من الحنك، وفسرها في الحديث بالشدق، وهو قريب منه. وقولها: "أنا مالك، أنا كنزك" إخبار لمزيد الغصة والهم؛ لأنه شر أتاه من حيث كان يرجو خيرًا، وفيه نوع تهكم. [٢]

([١]) اخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة، رقم (١٤٠٣)، ج٢/١٠٦، أحمد في المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، رقم (٨٦٦١)، ج١٤/٢٩٨، وغيرهم.

([٢]) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن): شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (ت:٧٤٣هـ)، ت: عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى، ط١، ١٩٩٧م، ج٥/ ١٤٧٥، بتصرف.

والله سبحانه لـه القدرة المطلقـة فـي قلـب الهيئـات وتغييـر المخلوقـات فهـو سبحانه يصـنع فـي ملكـه مـا يريـد ولا يعجـزه شـيء سبحانه، فينقلـب المـال المكنـوز حيـة، وإن شاء سبحانه لقلب صـاحب المال بنفسـه حيـة أو مسخه قردًا أو خنزيرًا، ولله الأمر والقدرة المطلقة والحكمة البالغة.

وهذه العقوبة إنما تكون، فيمن منـع الحقوق الواجبة ومعنى: "مُثِّلُ لَهُ شُجَاعَ أَقْـرَعَ" حقيقـة لأن المـال جسـم والشـجاع جسـم فيغيـر الله تعـالى الهيئـات والصفات والجسم واحد، وخصّ بذلك الشجاع لأنه أول عدو اكتسبه الإنسان وبه خرج من الجنة. [١]

وعن أبـي هُرَيْرَةَ، رَضِـيَ اللَّهُ عَنْـهُ، يَقُولُ: قَـالَ النَّبِـيُّ صَـلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ: "تَأْتِي الإِبِلُ عَلَى صَاحِبِهَا عَلَى خَيْرِ مَا كَانَتْ، إِذَا هُوَ لَمْ يُعْطِ فِيهَا حَقَّهَا، تَطَؤُهُ بِأَخْفَافِهَا، وَتَأْتِي الغَنَمُ عَلَى صَاحِبِهَا عَلَى خَيْرِ مَا كَانَتْ إِذَا لَمْ يُعْطِ فِيهَا حَقَّهَا، تَطَؤُهُ بِأَظْلاَفِهَا، وَتَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا"، وَقَالَ: "وَمِنْ حَقِّهَا أَنْ تُحْلَبَ عَلَى المَاءِ" قَالَ: " وَلاَ يَأْتِي أَحَدُكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ بِشَاةٍ يَحْمِلُهَا عَلَى رَقَبَتِهِ لَهَا يُعَارٌ، فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ، فَأَقُولُ: لاَ أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ بَلَّغْتُ، وَلاَ يَأْتِي بِبَعِيرٍ يَحْمِلُهُ عَلَى رَقَبَتِهِ لَهُ رُغَاءٌ فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ، فَأَقُولُ: لاَ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، قَدْ بَلَّغْتُ "[٢]

([١]) القبس في شرح موطأ مالك بن أنس: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (ت: ٥٤٣هـ)، ت: محمد عبد الله ولد كريم، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٢م، ص ٤٦٧.

([٢]) أخرجه البخاري كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة، رقم (١٤٠٢)، ج٢/١٠٦، مسلم في الزكاة، باب إثم مانع الزكاة رقم (٩٨٧)، ج٢/٦٨٠.

وفيه أن الله تعالى يحييها بعينها ليعاقبه بها وفي ذلك معاملة له بنقيض قصده؛ لأنه قصد بمنع حق الله فيها الارتفاق والانتفاع بما منعه منها فكان ذلك الذي قصد الانتفاع به أضر الأشياء عليه وسُلط عليه حتى باشر عقوبته بنفسه.(١)

خلاصة توظيف الخطاب العقدي المتعلق بالتكافل الاجتماعي:

مررنا بمشهدين عظيمين من مشاهد الأخرة، كان الأول منهما هول المحشر المهيب العصيب وأعمال تخفف من شدته، والآخر ترويع مانعي الزكاة ومعاقبتهم.

ويمكن توظيف هذه المشاهد لتدعم فكرة التكافل الاجتماعي على النحو التالي:

- أن المحشر أيضًا يقع فيه من العقاب والجزاء قبل الحساب وفيه من الكرب والأهوال الكثير، مما يدل على عظم الأمور المحاسب عليها أو المناهي المقترفة في الدنيا والتي منها ما يخص التكافل الاجتماعي.
- يظهر مشهدان متضادان أحدهما مكافأة لمن تصدق، والآخر مجازاة لمن منع وكنز، فالأول تنعم بالأمن وتنسم الظل ووقي من لهيب الشمس: لصدقته في الدنيا، والآخر ظهر كنزه الذي منع حقهم من زكاته فتمثل له حية أو ثعبان مخيف طوق عنقه وأرعبه، وجاءت

---

(١) طرح التثريب في شرح التقريب: أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (ت:٨٠٦هـ)، الطبعة المصرية القديمة، ج٤/٤.



البهائم التي منع زكاته، فنطحته ودهسته في كامل قوتها وفي منتهى ضعفه ومهانته.

- من أهمية التكافل الاجتماعي وثمرته في عمارة الدنيا، وما تقتضيه العدالة الاجتماعي التي يؤسس لها أموال الصدقة والزكاة، فقد رتب الشرع عليها مكافأة لمن تطوع بها، وعذابًا لمن منع حقها عن أهلها وعجل صور هذا الجزاء.
- عالمية الإسلام ومحاسنه الظاهرة والخفية وحكمه البالغة، تتجلى في صور التكافل الاجتماعي التي تظهر في الغيبيات من مشاهد الآخرة.
- تأسيس زاجر داخلي، ورادع قوي في قلوب المؤمنين من خلال الخطاب العقدي الذي يوظف مشاهد الآخرة في عمارة الدنيا.

المسألة الثانية: التعايش:

التعايش من أسس ومقومات الضبط الاجتماعي المحلي والعالمي، حيث تختلف الأجناس والأعراق والديانات والمعتقدات في المحلة الواحدة؛ لذا وجب التعايش بين المختلفين والترابط بين المتنافرين وتعبيد طرق وتمهيد مسالك تؤسس لعمارة الأرض عن طريق كف المشاحنة بين رفقاء الموطن أو العمل عن طريق التعايش.

ويمكن تعريف التعايش: بأنه مصطلح معاصر معناه القبول بالآخر المختلف إيديولوجيا ودينيا وعرقيا، بالرغم من التقدم الذي أحرزته البشرية في مجالات احترام حقوق الإنسان، وحق الأقليات في العيش المشترك، ومن ناحية أخرى لابد من القول: إن التعايش يحمل مضامين اجتماعية

واقتصادية وسياسية ودينية تهدف جميعها إلى إيجاد بيئة ملائمة لإسعاد المجتمع البشري. [1]

والتعايش بوصفه أحد روافد الضبط الاجتماعي الاصيلة، التي تكرس للأمن والسلامة المجتمعية له ضابطه، وحدوده وقيوده عند المسلمين، فثمة فوارق دقيقة بين الولاء والبراء من ناحية وبين التعايش من ناحية أخرى؛ لكن الشرع الإسلامي الحنيف الخاتم دل دلالة قاطعة على أصول ومضامين هذا التعايش ورسم طريقه وحد حدوده، ولو أراد باحث متخصص أن يسطر في ذلك؛ لسطر فيه المقالات ودون المجلدات الكبار؛ لأن رسالة الإسلام أصيلة في روافدها، عالمية في خطابها، مرنة في قوالبها، تستوجب عمارة الأرض، وصيانة الخلق.

ويتصور الباحث أن دعامات التعايش إنما ترجع جميعها إلى أسس وأصول أربعة على النحو التالي:

١- ضمان الحقوق.

٢- الاحترام المتبادل.

٣- الأمن المجتمعي الجمعي.

٤- التعاون

---

(١) تعزيز قيم التعايش السلمي في المجتمعات العربية قراءة في الواقع والأبعاد: زوليخة زوزو وآخرون، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مركز البحث وتطوير الموارد البشرية، رماح، مج٢ ,ع١، ٢٠١٩، ص٢٠٢، بتصرف.

ولعلنا نستبصر من مشاهد الأخرة ما يعزز قيم التعايش التي نعرضها في التالي ثم نستنبط منها توظيفًا للخطاب العقدي:

المشهد الأول: محاجة النبي صلى الله عليه وسلم ومخاصمته لمن ظلم معاهدًا:

لك أن تقف في هذا المشهد المهيب بدلاً من طلب الشفاعة واللقاء والاستقبال على الحوض؛ لتشرب من يديه الكريمتين شربة هنيئة، إذ بك خصم للنبي صلى الله عليه وسلم، تقف أمامه ليحاجك ويبرهن لك على بغيك وتعديك، وكل الخصومات تهون إلا خصومة الشفيع صلى الله عليه وسلم فيالها نت خسارة أن تجعل من شفيعك خصمك.

دليله: حدث أَبُو صَخْرٍ الْمَدِينِيُّ، أَنَّ صَفْوَانَ بْنَ سُلَيْمٍ، أَخْبَرَهُ عَنْ عِدَّةٍ، مِنْ أَبْنَاءِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنْ آبَائِهِمْ دِنْيَةً عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا، أَوِ انْتَقَصَهُ، أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ، فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" (١)

وهذا يدلنا على حسن رعاية الإسلام لحقوق غير المسلمين، وأن المعاهد ماله معصوم، ودمه معصوم وعرضه مصون فلا يجوز التعدي عليه، وفي هذا أيضاً دليل على تحريم غيبته، في قوله: "أو انتقصه" بانتقاصه بالحديث عنه

(١) أخرجه أبو داود، كتاب أول كتاب الخراج والفيء والإمارة، باب تَعْشِير أهلِ الذمة إذا اختلفوا بالتجارات، رقم (٣٠٥٢)، ج٤/٦٥٨، والبيهقي في الكبرى، كتاب الجزية، باب، رقم (١٨٧٣١)، ج٩/٣٤٤، والحديث صحيح.

بالنميمة والغيبة، فهذا من الانتقاص المحرم المنهي عنه الواقع من أجله الخصومة، أو كلفه ما لا يطيق من العمل، أو أخذ منه الشيء مكرهًا. (١)

فيحرم على المسلم أن يغش أحدًا من غير المسلمين غير الحربيين في البيع أو الشراء، أو أن يأخذ شيئًا من أموالهم بغير حق، ويجب عليه أن يؤدي إليهم أماناتهم، ولا يظلمهم وإلا وقف هذا الموقف بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم، وفيه من الحث على احترام غير المسلمين وعدم ظلمهم وهو ما يمكن للتعايش بين الفئات المختلفة وخاصة المعاهدة، وهو ما يؤسس للمعاهدات ويصونها ويحفظ الالتزامات الناشئة عنها.

المشهد الثاني: متابعة النبي لمن قضى لأخيه حاجة لرجحان ميزانه وإلا شفع له:

أية منزلة عظيمة أن ينتظرك النبي صلى الله عليه وسلم عند ميزانك؛ ليطمئن إلى رجحانه وإلا شفع لك إن لم ترجح كفة حسناتك، إنما تبلغ تلك المنزلة بقضاء الحاجات، والتعاون على البر.

دليله: عن مالك بن أنس والعمري عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ قَضَى لِأَخِيهِ حَاجَةً كُنْتُ وَاقِفًا عِنْدَ مِيزَانِهِ فَإِنْ رَجَحَ وَإِلَّا شَفَعْتُ لَهُ"(٢)

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح: مرجع سابق، ج٩/ ٢٧٩٠.

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية، ذكر طوائف من النساك والعباد، مالك بن أنس، ج٦/٣٥٣، وغيره.

وكأن النبي صلى الله عليه وسلم ضامن لمن يقضي حاجات إخوانه إما رجحان ميزانه أو الشفاعة له، وفيه أن الشفاعة مستحقة لمن يقضي الحاجات كرامة له.

وفيه من إظهار لقيمة التعاون والتعايش وفضلها والمكافأة عليها في الموقف العظيم والمشهد المهيب، عند أعظم وأهم اختبار يمر به المسلم حينما تُقوم أعماله وتظهر نتيجتها في الميزان.

المشهد الثالث: كاظم الغيظ يختار من أي الحور العين شاء:

كثيرة هي المواقف العصيبة التي يصيب العبد فيها الأذى، وقد يكون مصدره قريب أو صديق أو محسن إليه، ولا شك أن الأذى مسموعٌ أو مرئيٌ أو محسوسٌ الذي يصيبنا منه يسبب لنا ألمًا في أعماقنا، فتجيش نفوسنا بأنواع الانفعالات التي تدعونا إلى المواجهة الحادة، والصدام العنيف، وضبط النفس في مثل هذه الأحوال لا يملكه إلا أحلم الرجال.

إن الإسلام يعدُّ كظم الغيظ خلقًا إسلاميًا راقيًا فيستحق صاحبه التكريم، فالجنة التي عرضها السماوات والأرض أُعدت للمتقين، وكظمُ الغيظ في مقدمة صفات المتقين (وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ – الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

وفي يوم القيامة يدعو رب العزة منْ كظم غيظه على رؤوس الخلائق، ثم يُخيره من أي الحور العين شاء. (1)

دليله: عن سهل بن مُعاذ عن أبيه أن رسولَ الله –صلى الله عليه وسلم – قال: "من كظمَ غيظًا، وهو قادِرٌ على أن يُنفِذَهُ، دعاهُ الله عَزَّ وَجَلَّ على رؤوسِ الخلائقِ يومَ القيامةِ، حتى يُخيِّره مِنْ أيِّ الحُورِ شَاءَ"(2)

من تجرع مرارة الصبر في كظم الغيظ كافأه الله جزاء لصبره أن يختار من بين الحور العين ما يشاء، فكظم الغيظ مع القدرة على إنفاذه من ضمانات ودعامات التعايش، فكف المشاحنة والمقاتلة، والصبر عن الانتقام؛ إنما هو من مقومات عمارة الدنيا وإلا كلما قَدِر رجل على أخيه انتقم لنفسه ما تعايش الناس في هذه الدنيا، ولسفك الدم لأهون الأسباب.

المشهد الرابع: صغار المتطاولين المتكبرين وذلهم يوم العرض العظيم:

يقدم المتكبرون يوم القيامة، يعلوهم الصغار حقيقة وحكمًا فهم أمام الملك الجبار سبحانه جل في علاه، أما حقيقة فتصغر أجسامهم حتى تصل بحجم النمل الصغير، فيدوسهم الناس، وهكذا النمل الصغير لا يراه الناس ولا يشعرون به لصغره الشديد فلا يمثل للناس شيئًا وهذا هو الصغار الحكمي.

---

(1) القيامة الكبرى: عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، دار النفائس، ط٦، ١٩٩٥م، ص ١٦٥.

(2) أخرجه الترمذي، أبواب البر والصلة، باب في كظم الغيظ، لرقم (٢٠٢١)، ج٤/٣٧٢، وأبو داود في كتاب الأدب، باب من كظم غيظًا، رقم (٤٧٧٧)، ج٤/٢٤٨، ابن ماجه، كتاب الزهد، باب الحلم، رقم (٤١٨٦)، ج٢/١٤٠٠، وأحمد في مسند المكين، حديث معاذ بن أنس الجهني، رقم (١٥٦٣٧)، ج٢٤/٣٩٨، والحديث أسناده حسن.

فعاقبهم الله بخلاف قصدهم في الدنيا؛ فلأنهم في الدنيا يمشون في غرورهم وكبرهم وتبخترهم على خلق الله، تطاولت رؤوسهم وشمخت أنوفهم؛ فأذلهم الله في المشهد العظيم أمام خلقه أجمعين، والجزاء من جنس العمل ولا يظلم ربك أحدًا.

دليله: عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "يُحْشَرُ المُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُوَرِ الرِّجَالِ يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، فَيُسَاقُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُسَمَّى بُولَسَ تَعْلُوهُمْ نَارُ الأَنْيَارِ يُسْقَوْنَ مِنْ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ طِينَةَ الخَبَالِ"(١)

الذرة هي النملة الصغيرة؛ يعني: صورتُهم صورةُ الإنسان، وجثتُهم كجثة الذر في الصغر، والمراد بهذا الحديث: أن المتكبرين يكونون يوم القيامة على غاية الذل والحقارة.(٢)

هؤلاء المتكبرون يعطلون مسيرة الحياة بكبرهم؛ لشعورهم بأنهم أعلى درجة من غيرهم من بني البشر، والكبر أشر المعاصي وأحقر الصفات، ويكفي في

---

(١) أخرجه الترمذي في أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، باب رقم (٢٤٩٢)، ج٤/٦٥٥، البخاري في الأدب المفرد، باب الكبر، رقم (٥٥٧)، ص١٦٩، أحمد في المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص، رقم (٦٦٧٧)، ج١١/٢٦٠، والحديث أسناده حسن.

(٢) المفاتيح في شرح المصابيح: الحسين بن محمود بن الحسن، مظهر الدين الزَّيْدَانيُّ الكوفي الضَّريرُ الشِّيرازيُّ الحَنَفيُّ المشهورُ بالمُظْهِري (ت: ٧٢٧ هـ)، دار النواد، رط١، ٢٠١٢ م، ج٥/ ٢٥٦، وانظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي: أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى (ت: ١٣٥٣هـ) دار الكتب العلمية، ج٧/ ١٦٤، بتصرف.

ذمها أنها كانت صفة إبليس التي طردته من رحمة وكتب عليه اللعن بسببها إلى يوم الدين، ومن دناءة الكبر أن يصور صاحبه لنفسه جلالاً وكمالًا خلاف الحقيقة؛ فلا يتعاون مع عباد الله ويعرقل التعايش بين الخلائق لظنه أنه أحسن منه وأرفع درجة؛ لحسب أو مال أو عرق يظنه لنفسه.

المشهد الخامس: المنان لا ينظر الله إليه ولا يكلمه يوم القيامة:

الله ربنا يكلم عباده يوم القيامة وهو سبحانه السميع البصير، فيبصر سبحانه تعالى كل خلقه ولا يحجب رؤيته شيءٌ جل في علاه، ونظرته لبعض خلقه رحمة ومغفرة يحجبها عن بعض خلقه بذنوبهم التي ارتكبوها في دنياهما، ومن هؤلاء المحجوبين المنان، فلا ينظر الله إليه ولا يكلمه لعظم ما اقترف وعظيم ما جنى.

دليله: عَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ" قَالَ: فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَ مِرَارًا، قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا، مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: "الْمُسْبِلُ، وَالْمَنَّانُ، وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ"[1]

---

(1) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، بَابُ بَيَانِ غِلَظِ تَحْرِيمِ إِسْبَالِ الْإِزَارِ، وَالْمَنِّ بِالْعَطِيَّةِ، وَتَنْفِيقِ السِّلْعَةِ بِالْحَلِفِ، وَبَيَانِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ، رقم (١٠٦)، ج١/١٠٣، وأبو داود في كتاب اللباس، باب ما جاء في إسبال الإزار، رقم (٤٠٨٧)، ج٤/٥٧، وأحمد، مسند الأنصار، حديث أبي ذر رضي الله عنه، رقم (٢١٣١٨)، ج٣٥/٢٤٥

وقال ربنا سبحانه: {الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [البقرة: ٢٦٢]

المنان يعدد ما أعطاه لغيره ويُذكّره به فيؤذيه ذلك؛ لأنه يتطاول عليه بسبب عطائه فيحبط به ما أسلف من الإحسان، وهو من المنة التي هي الاعتداد بالفعل، وهي إن وقعت في الصدقة أبطلت الأجر، وإن وقعت في المعروف كدرت الصنيعة، والمن غالبا يقع من البخيل والمعجب، فالبخيل تعظم في نفسه العطية، وإن كانت حقيرة في نفسها، والمعجب يحمله العُجب على النظر لنفسه بعين العظمة وأنه منعم بماله على المعطى، وإن كان أفضل منه في نفس الأمر وموجب ذلك كله الجهل ونسيان نعمة الله فيما أنعم به عليه، ومعنى كون الله تعالى لا ينظر إليه أي نظر رحمة، ونظره سبحانه لعباده رحمته لهم ولطفه بهم، ولو علم المنان مصيره لعلم أن المنة للآخذ لما يترتب له من الفوائد، والمن بهذا المعنى من كبائر الذنوب ولما ترتب عليه من الوعيد في الدار الآخرة. (١)

والمن بهذا المعنى ينتقص من قيم التعايش بين الناس، فصاحب الحاجة يتأذى بالمن فيلوم نفسه على أخذه لهذا العطاء أو يعاني أشد المعاناة، فتضطرب نفسه ويتألم وجدانه وتتكدر معيشته، فإما أن تُهدر كرامته من فعل

(١) انظر: تفسير القرطبي: ٣ج/ ٣٠٨، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ج٣/ ٣٢، طرح التثريب في شرح التقريب: ج٨/ ١٧١، شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن: ج٧/ ٢١١٧، فتح الباري لابن حجر: ج٣/ ٢٩٩، إكمال المعلم بفوائد مسلم: ج١/ ٣٨٠.

المنان أو أن يتوقف عن الأخذ منه، وفي الحالين تهبط قيمة التعايش بين الناس.

المشهد السادس: لواء الغادر يرتفع بقدر غدرته:

يأتي بعض العِباد يوم القيامة وترفع لهم راية تسجل عليها غدرته، ويعرف بها خسته، تكون لهم علامة بين أهل الموقف، وترتفع هذه الراية وتتطاول بقدر جرم صاحبها من الخيانة، فكلما غدر وكانت غدرته أعظم تطاولت رايته؛ ليتسنى لأهل المشهد رؤيته ومعرفته، وإنما يقع ذلك خزيًا له وتحقيرًا وتشهيرًا به وبغدرته بين أهل الموقف.

وهذا التشهير كان واقعًا في الجاهلية فكانت العرب ترفع لواء للغادر في المجامع والمحافل ومواسم الحج، ويطاف به على رؤوس الأشهاد، وانظر قول الحادرة، إذ يقول:

أسميُّ ويحكِ هلْ سمعتِ بغدرةٍ — رفـعَ اللـواءُ لنـا بهـا فـي مجمـعِ

إنـا نعـفُّ فـلا نريـبُ حليفنـا — وكـفُّ شـحَّ نفوسـنا فـي المطمـعِ

ونقـي بـآمنِ مالِنـا أحْسـابَنا — ونجـرُّ فـي الهيجـا الرمـاحَ وندَّعِي

ونخوضُ غمرةَ كلِّ يومِ كريهةٍ — تردِي النفوسَ وغنمُها للأشجعِ [1]

([1]) المفضليات: المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي (المتوفى: نحو ١٦٨هـ)، ت: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف، ط٦، ص٤٥، والشاعر هو الحادرةُ، واسمه قطبة بن محصن بن جرول بن حبيب بن عبد العزى ابن خزيمة بن رزام من ذبيان، وهو مقل جدًا.

دليله: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُرْفَعُ لَهُ بِقَدْرِ غَدْرِهِ، أَلَا وَلَا غَادِرَ أَعْظَمُ غَدْرًا مِنْ أَمِيرِ عَامَّةٍ"(١)

والغدر ترك الوفاء بما هو مستحق شرعًا، أو نقض عهد وصوره كثيرة، ولما كان الغدر لا يقع غالبًا إلا بسبب خفي ناسب أن يعامل يوم القيامة في العقوبة بضد ما فعله وإشهار ما ستره وكتمه في يوم يجمع فيه الأولون والآخرون، والغدرُ حرامٌ في كلِّ عهدٍ بين المسلم وغيره، ولو كان المعاهَدُ كافرًا، وقد أمر الله تعالى في كتابه بالوفاء بعهود المشركين إذا أقاموا على عهودهم ولم ينقُضوا منها شيئًا، وأما عهودُ المسلمين فيما بينهم، فالوفاء بها أشدُّ، ونقضُها أعظم إثمًا.

وتتنوع العهود وتكثر ويدخل فيها كل ما تراضاه الناس، وتعاهدوا عليه وأرادوا أن ينفذوه حقيقة ويدخل في العُهود التي يجب الوفاء بها، ويحرم الغَدْرُ فيها: جميعُ عقود المسلمين التي يجب الوفاءُ بها، وكذلك ما يجبُ الوفاء به لله – عز وجل – ممَّا يعاهدُ العبدُ ربَّه عليه من نذرِ التَّبرُّرِ ونحوه.(٢)

---

(١)أخرجه مسلم كتاب الجهاد والسير، باب تحريم الغدر، رقم (١٧٣٨)، ج٢/١٣٦١، وأحمد في المكثرين من الصحابة، مسند أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، رقم (١١٤٢٧)، ج١٨/٢١.

(٢) التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِع الصَّغِيرِ: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (ت: ١١٨٢هـ)، ت: محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم، مكتبة دار السلام،ط١، ٢٠١١ م، ج٣/٢٣٢، شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن (٨/ ٢٥٩١)، انظر: شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن: ج ٨/ ٢٥٩١، جامع العلوم والحكم في شرح ==

ولما كانت حياة الناس ومعاشهم كلها قائمة على العقود والعهود؛ عظّم الشرع من الوفاء بها لإقامة عمارة الدنيا وتعزيز قيم التعايش بين الأطياف المختلفة من الناس، فلا تستقيم الحياة إلا بالعهد والوفاء به، وظهر هذا التعظيم في هذا المشهد المخزي للغادر بعهده يوم المشهد العظيم.

المشهد السابع: لسانان من نار يوم القيامة لمن أشعل النار بين العباد في الدنيا بلسانه:

يظهر لنا يوم القيامة بعض الناس بلسانين من نار، وهؤلاء ضرب من المتلونين الذي يأتون طائفة من الناس بوجه وطائفة أخرى بوجه أخر، بقصد الإفساد بين الناس لا الإصلاح بينهم.

ذو الوجهين: الذي يدخل بين الناس بالشر والفساد، فيواجه كل طائفة بما يتوجه به غيرها، ويوصل الود إليها بما يرضيها من الشر والفساد بين الطائفتين، فهو ذو الوجهين: وجه يأتي إلى طائفة فيقول لها: أنا صادق في محبتك دون فلان الفاعل التارك، ويأتي إلى الطائفة الأخرى فيقول لها كذلك. [1]

==

خمسين حديثاً من جوامع الكلم: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (ت: ٧٩٥هـ)، ت: محمد الأحمدي أبو النور، دار السلام، ط٢، ٢٠٠٤ م، ج٣/ ١٢٥٥.

(١) شرح سنن أبي داود: شهاب الدين أبو العباس أحمد بن حسين بن علي بن رسلان المقدسي الرملي الشافعي (ت: ٨٤٤ هـ): عدد من الباحثين بدار الفلاح بإشراف خالد الرباط، دار الفلاح، ط١، ٢٠١٦ م، ج١٨/٥٩٥.

دليله: عن عمَّارٍ، قال: قال رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم-: "من كان له وجهانِ في الدُنيا، كان لهُ يومَ القيامَةِ لسانانِ من نار"[١]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "تجد من شر الناس يوم القيامة عند الله ذا الوجهين، الذي يأتي هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه"[٢]

المقصود بالوجه هو اللسان؛ لأنه كان يتحدث مع هؤلاء ويتحدث مع هؤلاء، وليس المقصود الوجه الذي هو حقيقة الوجه، وكان ذو الوجهين شر الناس لأن حاله حال المنافق إذ هو متملق بالباطل، وبالكذب مدخل للفساد بين الناس وصنيعه نفاق ومحض كذب وخداع وتحيل على الاطلاع على أسرار الطائفتين وهي مداهنة محرمة. [٣]

عَظّمت الشريعة من الفساد والسعاية بين الناس ومنعت النميمة وحرمتها ورتبت عليها الجزاء، لما يتحقق منها من الوقيعة بين الناس وتحقق وقوع الشر بينهم، والتلون الذي يقع من ذي الوجهين أضر من النميمة؛ لأن

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في ذي الوجهين، رقم (٤٨٧٣)، ج٤/٢٦٨، وابن أبي الدنيا في ذم الغيبة، باب ذم ذي اللسانين، رقم (١٣٨)، ص ٤١، الدارمي، كتاب ومن كتاب الرقاق، باب ما قيل في ذي الوجهين، رقم (٢٨٠٦)، ج٣/١٨١٩، والحديث أسناده حسن.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب ما قيل في ذي الوجهين، رقم (٦٠٥٨)، ج٨/١٨، مسلم، كتاب البر والصلة والآداب باب ذم ذي الوجهين وتحريم فعله رقم (٢٥٢٦)، ج٤/ ٢٠١١.

(٣) انظر: فتح الباري لابن حجر: ج١٠/ ٤٧٥، التنوير شرح الجامع الصغير: ج١٠/٣٧٣.

صاحبه يقصده فيحسن من صورته تلونًا؛ ليكسب ود الطائفة الأخرى، فكيف تستقيم حياة الناس وينعم بالسلم بينهم طالما بينهم من يوغر صدورهم ويؤلب قلوب بعضهم على بعض؛ فلا يستطيع الناس التعايش في ظل هذا التلون الممقوت والسعاية المفسدة والوشاية الخسيسة بينهم؛ لذلك يظهر لنا من أشعل النار بين عباد الله في الدنيا بلسانه، بلسانين من نار يوم القيامة تشهيرًا به وذمًا لفعله.

المشهد الثامن: عبيد يضربون أسيادهم في الآخرة:

يظهر لنا يوم القيامة بعض العبيد يضربون من كانوا أسيادهم في الدنيا؛ وذلك قصاصًا لضربهم في الدنيا بغير وجه حق، وإن ضربوهم بسوط ضربهم العبيد بسوط، والجزاء من جنس العمل، والقصاص على رؤوس الاشهاد.

دليله: عَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ، قَالَ: قَال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَا مِنْ رَجُلٍ يَضْرِبُ عَبْدًا لَهُ إِلَّا أُقِيدَ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"[1]

وكل من يعتدي على غيره بالضرب، يقتص منه بضرب مثله يوم القيامة، وهذا مما يظهر قمة التعايش والاحترام المتبادل فالسيد له الطاعة والعبد له الاحترام، وهذا العقد بينهما وإن كان غير مكتوب إلا أنه يسري بينهما وإن تجاوز السيد في الدنيا قاصص العبد يوم القيامة.

---

(1) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب قصاص العبد، رقم (١٨١)، ص٧٤، ابن أبي شيبة في المصنف، كتاب الأدب، باب الرجل يؤدب امرأته، رقم (٢٥٤٦١)، ج٥/٢٢٣، والبزار في مسنده، مسند عمار بن ياسر رضي الله عنهما، رقم (١٣٩٩)، ج٤/٢٣٦، واسناده صحيح.

وهذا من أعظم وأدل الأمثلة على التعايش المشترك الذي يحوطه الاحترام المتبادل حتى بين الطبقات والفئات المتباعدة.

المشهد التاسع: الأمانة والرحم على جانبي الصراط:

يمتد الصراط ويعبر عليه عباد الله في أشكال وأوصاف عبور تختلف تبعًا لحال المار إن كان عاص أو طائع وصنف منهما يتفاوت درجات، ومع اختلاف هذه الحالات إلا أن الرحم والأمانة تقومان على جانبي الصراط في كل جانب منه واحدة منهما.

دليله: ما جاء في حديث حذيفة رضي الله عنه يرفع إلى النبي صلى الله عليه وسلم" " وَتُرْسَلُ الأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ، فَتَقُومَانِ جَنَبَتَيِ الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالاً، فَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَالْبَرْقِ، قَالَ: قُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أَيُّ شَيْءٍ كَمَرِّ الْبَرْقِ؟ قَالَ: أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْبَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ، وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ؟ ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ، وَشَدِّ الرِّجَالِ، تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ، وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ, حَتَّى تَعْجِزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ، حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلاَ يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلاَّ زَحْفًا، قَالَ: وَفِي حَافَتَيِ الصِّرَاطِ كَلاَلِيبُ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنْ أُمِرَتْ بِهِ، فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ، وَمَكْدُوسٌ فِي النَّارِ، وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ، إِنَّ قَعْرَ جَهَنَّمَ لَسَبْعُونَ خَرِيفًا"[١]

يريد بجنبتي الصراط ناحيتيه اليمنى واليسرى، والمعنى تتشكل الأمانةُ والرَّحِمُ يومَ القيامة ويقوم أحدُهما بجانب الصراط والآخرُ في جانبه الآخر، لعظم

---

(١) رواه مسلم كتاب الإيمان، باب بيان من يخرج من النار، رقم (٤٠١)، ج١/٥٦٢، ابن منده في الإيمان، باب ذكر وجوب الإيمان برؤية الله عز وجل، رقم (٨٨٣)، ج٢/ ٨٥٣.

شأنهما وفخامة ما يلزم العباد من رعاية حقهما، يوقفان هناك للأمين والخائن، والمواصل والقاطع؛ فيحاجان عن المحق ويشهدان على المبطل؛ ليتميزَ الأمينُ من الخائن، والواصلُ من القاطع على رؤوس الملأ؛ سرورًا للأمين والواصل، وفضيحةً للخائن والقاطع، فهذا تحريضٌ بليغٌ على رعايتهما، وحثٌّ تامٌّ على أداء حقَّيهما؛ فإن رعايَتهما سببٌ لمصالحَ كثيرةٍ وفوائدَ عظيمةٍ. (١)

فلما كانت الدنيا لا تقوم ولا تنهض فيها عمارة ولا يتحقق فيها استخلاف إلا بالأمانة وصلة الرحم اللتان هما قوام التعايش ودعامته، فإذا فقدا ضاعت عمارة الدنيا وانتهت الحياة على الأرض؛ لذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم للسائل متى الساعة قال له إذا ضيعت الأمانة ووسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة، وساعتها تنتهي عمارة الدنيا.

خلاصة توظيف الخطاب العقدي المتعلق بالتعايش:

وقد سبق وأن تصور الباحث أن دعامات التعايش إنما ترجع جميعها إلى أسس وأصول أربعة، تؤسس للتعايش فلا يتصور تعايش دون ضمان الحقوق أو الاحترام أو الأمن المجتمعي، والتعاون ونوظف المشاهد الأخروية السابقة في الخطاب العقدي على النحو التالي:

---

(١) انظر: شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن: ج١١/ ٣٥٢٤، المفاتيح في شرح المصابيح: ج٥/ ٥١٢، فتح الباري لابن حجر: ج١١/ ٤٥٣.

١- ضمان الحقوق:

- دل المشهد الأول وهو محاجة النبي صلى الله عليه وسلم ومخاصمته لمن ظلم معاهدًا، على ضمان الحقوق حيث ضمن لأهل الكتاب أو المعاهدين أن يعيشوا بلا ظلم في ظل عهدهم الذي أوثقوه مع المسلمين.
- دل عليه المشهد السادس، لواء الغادر يرتفع بقدر غدرته؛ لأن الناس تأمن حقوقها ما لم يغدر أحدهم ولم يغش صاحبه ولم يخدعه؛ لذلك شهّر الله سبحانه وتعالى بالغادر كما بينا سابقًا لعظيم ما اقترف.
- دل عليه المشهد الثامن، عبيد يضربون أسيادهم في الآخرة، طالما علم العباد بالقصاص أمنوا على حقوقهم؛ لأن الجناة حتما يتوقفون لو عرفوا مصيرهم وتيقنوا مواقفهم يوم القيامة.
- دل عليه المشهد التاسع، الأمانة والرحم على جانبي الصراط؛ لأن الحقوق لا تضيع في ظل الأمانة، بل يطمئن كل واحد لصاحبه ويرد إلى أصحاب الحقوق حقوقهم متى ما سادت الأمانة.

٢-الاحترام المتبادل:

- دل عليه المشهد الأول حيث إن مخاصمة النبي لمن يظلم معاهدًا، تقود إلى الاحترام المتبادل بين أطراف المعاهدات.
- دل عليه المشهد الثالث، كاظم الغيظ يختار من أي الحور العين شاء، فهذه دعوة للاحترام وإن كانت في مبدأها من طرف واحد وهو الكاظم إلا أنها تعود بالاحترام على الطرفين.

- دل عليه المشهد الرابع، صغار المتطاولين المتكبرين وذلهم يوم العرض العظيم، فرفع الكبر بين الخلق يؤدي على الاحترام المتبادل بينهما؛ لأن المتكبر لا يحترم الأطراف الأخرى.
- دل عليه المشهد الخامس، المنان لا ينظر الله إليه ولا يكلمه يوم القيامة، إذ المن يلزمه عدم الاحترام وعدم التقدير للطرف الأضعف؛ لذلك عوقب المنان لما سلب عن نفسه الرحمة ومنَّ على الطرف الضعيف حجبت عنه الرحمة يوم القيامة.
- دل عليه المشهد السادس، لواء الغادر يرتفع بقدر غدرته، حتمًا سيحترم أطراف علاقة التعايش بعضهم البعض ما لم يغدر أحدهم.
- دل عليه المشهد السابع، لسانان من نار يوم القيامة لمن أشعل النار بين العباد في الدنيا بلسانه، فمازال الناس يحترم بعضهم بعضًا ما لم يسع بينهم ساع بالوشاية أو غاو بالغواية.
- دل عليه المشهد الثامن، عبيد يضربون أسيادهم في الآخرة، لأنه متى علم المتعدي بالقصاص توقف عن ظلمه وبغيه واحترم الطرف الآخر وقدره.

٣-الأمن المجتمعي الجمعي:

- دل عليه المشهد الأول حيث إن مخاصمة النبي لمن يظلم معاهدًا، تقود إلى العيش في أمان، وسلام للمعاهدين، وضمان أمنهم، وسلامتهم.

- دل عليه المشهد الثالث، كاظم الغيظ يختار من أي الحور العين شاء، فالذي يكظم غيظه يدفع عن نفسه وعن الطرف الآخر مغبة المشاحنة والمخاصمة مما يؤدي إلى الأمن المجتمعي.
- دل عليه المشهد الخامس المنان لا ينظر الله إليه ولا يكلمه يوم القيامة؛ لأن المنَّ يصنع الشحناء والتباغض بين الناس وهذا نقيض الأمن وخلافه.
- دل عليه المشهد السادس، لواء الغادر يرتفع بقدر غدرته؛ لأن الناس تأمن على نفسها ومالها وعرضها ما يغدر أحدهم بالطرف الآخر.
- دل عليه المشهد السابع، لسانان من نار يوم القيامة لمن أشعل النار بين العباد في الدنيا بلسانه، فيحدث الأمن ويتحقق بقدر عدم دخول طرف ثالث يؤلب قلوب الناس بعضهم البعض ويعكر صفو علاقتهم.
- دل عليه المشهد الثامن، عبيد يضربون أسيادهم في الآخرة؛ فيظل يأمن الناس على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم في ظل حتمية القصاص يوم القيامة.
- دل عليه المشهد التاسع، الأمانة والرحم على جانبي الصراط؛ لأن الأمن يتحقق في ظل تحقق الأمانة فيعيش الناس مطمئنين؛ لانتشار الأمانة بينهم.

٤ –التعاون:

- دل عليه المشهد الثاني متابعة النبي لمن قضى لأخيه حاجة لرجحان ميزانه وإلا شفع له، فنجد كيف يؤسس هذا المشهد من قيمة التعاون التي هي أحد أسس التعاون الإنساني المشترك.
- دل عليه المشهد الرابع، صغار المتطاولين المتكبرين وذلهم يوم العرض العظيم؛ لأن مع وجود الكبر يستحيل التعاون، ومع رفعه بين أطراف المعاملات تجد أن التعاون يتحقق بينهم.
- دل عليه المشهد الخامس، المنان لا ينظر الله إليه ولا يكلمه يوم القيامة؛ لأن المنَّ يوقف التعاون والتلاحم بين أطراف العلاقة؛ فعوقب المنان بسوء قصده وحرم الرحمة.
- دل عليه المشهد السادس، لواء الغادر يرتفع بقدر غدرته، فيظل التعاون قائمًا بين الأطراف المختلفة ما لم يغدر أحدهم وساعتها يتوقف الوفاق ويظهر الشقاق.
- دل عليه المشهد السابع، لسانان من نار يوم القيامة لمن أشعل النار بين العباد في الدنيا بلسانه فيظل التعاون والتعايش قائمًا إلى أن يسعى الواشون أصحاب الوجهين بين الأطراف المختلفة ساعتها يتوقف التعاون.
- دل عليه المشهد الثامن، عبيد يضربون أسيادهم في الآخرة، فمتى علم الناس والأسياد من بينهم أن الآخرة يتم فيها القود والقصاص ما ظلموا ولا تعدوا على عبيدهم مما يجعل التعاون قائمًا بين أطراف العلاقات المختلفة مع التفاوت الطبقي أو الاجتماعي.

- دل عليه المشهد التاسع، الأمانة والرحم على جانبي الصراط؛ لأن التعاون يسود متى ما سادت الأمانة، وكذلك صلة الأرحام تحقق قدرًا من التعاون بين الأهل والاقارب.

فتؤكد هذه المشاهد على أسس التعايش من ضمان الحقوق والاحترام المتبادل، والأمن المجتمعي، والتعاون، فيظهر لنا من العرض السابق أنه يمكن توظيف الخطاب العقدي لمشاهد الأخرة في تحقيقه دعامة التعايش التي هي أحد ركائز الضبط الاجتماعي محور عمارة الأرض الأكبر.

المسألة الثالثة: العدل:

المحور الثالث من محاور الضبط الاجتماعي، العدل قيمة عظيمة ومحور رئيس في إقامة الحضارة وعمارة الأرض إن لم يكن هو أصلها وأسها التي تقوم عليه، فلا يكون هناك ضبط اجتماعي في غياب العدل.

وآيات الذكر الحكيم من كلام رب العالمين في هذا الباب، باب الحساب والجزاء يوم القيامة تبلغ حدًا كبيرًا تؤكد أهميته.

يقول ربنا جل في علاه: {وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَاوَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا} [الكهف: ٤٩]

قال سبحانه: {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ} [الأنبياء: ٤٧]

قال سبحانه: {الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [يس: ٦٥]

المشهد الأول: شهادة الأعضاء على الإنسان وخذلانها له:

تأتي محكمة الآخرة ولا يحتاج الحكم العدل ربنا سبحانه فيها إلى شهود أو بينة أو قرائن تحف بالجرائم لإثباتها، لا أدلة ولا تحريات ولا استخلاص من أحداث، ولا دفوع باطلة، ولا بطلان في الإجراءات كل ذلك في محاكم الدنيا، إنما عند الخالق الجبار، كل ذلك في كتاب، وفي علم ربنا سبحانه لا يعزب عنه مثقال ذرة أو أقل من ذلك؛ لكنه الجحود والنكران، فيظهر بعض العبيد ينكرون جرائمهم وآثامهم وذنوبهم ويجحدون حقوق العباد، ويطلبون شاهدًا من أنفسهم ظنًا منهم أن أعضاءهم لن تخذلهم وبالأحرى لن تخذل نفسها لأنها هي التي تعذب، وفي مشهد المحكمة العادلة يستنطقها ربها بالعدل والقسط فتنطق وتشهد على نفسها،{اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا} [الإسراء: ١٤]

دليله: من القرآن قوله جل في علاه: {وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [فصلت: ٢١].

ومن السنة: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَضَحِكَ، فَقَالَ: "هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟" قَالَ قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: " مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ، يَقُولُ: يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟ قَالَ: يَقُولُ: بَلَى، قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي لَا أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي، قَالَ: فَيَقُولُ: كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا، وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا، قَالَ: فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ،

فَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ: انْطِقِي، قَالَ: فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ، قَالَ: ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ، قَالَ فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ "[١]

في هذا الحديث يظهر الله سبحانه لعباده عدله، ولو قد كان معه الجاحد الشقي توفيق نطق بفيه، وهو يقدر أن ينطق معترفًا لله عز وجل دون نكران أو جحود، فكان لا يجمع بين فعل ما لا يجوز له فعله، وبين أن يجاحد الله عز وجل ذلك، ومن أن يجهل أن الله قادر على أن يظهر كل خفي، فاجتمع لهذا الشقي معصية، وكذب، وجهل بربه. [٢]

ويتحقق عدل الله التام، وهو واقع لا محالة كائن بلا مرية؛ لكنه الإنسان وطبعه وظلمه لنفسه، وحتى يتيقن من أحقيته للعذاب؛ يستجيب ربنا له فتنطق أعضاؤه بإذن خالقه، وفيه تحقيق العدل في الآخرة، فيرتدع كل أحد في الدنيا ويلزم عدم الجور في الدنيا لنفسه أو لغيره.

المشهد الثاني: الغال يحمل غلوله على رقبته، يوم القيامة أمام الخلائق كلهم:

يظهر لنا مشهد غريب عجيب؛ لكن لا عجب ولا غرابة اليوم؛ لأن كل المشاهد مذهلة، وكل الأحداث مرعبة، كيف لا ونرى الناس سكارى بلا شراب، حيارى بلا دليل من هول المطلع وعذاب الله الشديد.

---

(١) مسلم كتاب الزهد والرقائق، رقم (٢٩٦٩)، ج٤/٢٢٨٠، والبيهقي في الشعب، حشر الناس من قبورهم بعد ما يبعثون إلى الموقف، رقم (٢٦٢)، ج١/٤٢٤.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح: يحيى بن هُبَيْرَة بن محمد بن هبيرة الذهلي الشيبانيّ، أبو المظفر، عون الدين (ت: ٥٦٠هـ)، ت: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن، ١٩٩٦م، ج٥/ ٣٩٨، بتصرف.

نرى رجالًا يحملون على رقابهم أصناف البهائم، وهذا البعير الذي يحمله أو الشاة أو الفرس له صوت ويطلب الغوث والنجدة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويجيبه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بأنه لا يملك له شيئًا، حملوا على أكتافهم ما غلوه في الدنيا، حملوه إلى ملكهم بالباطل خلسة في دنيانا، فتحملوه على رقابهم في الآخرة؛ ليظهر غلولهم على رؤوس الأشهاد بالحق، وهكذا كل ما خفي هنا يظهر هناك إلا ما ستر ربي إنه حليم ستير.

دليله : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فَذَكَرَ الْغُلُولَ، فَعَظَّمَهُ وَعَظَّمَ أَمْرَهُ، ثُمَّ قَالَ: "لَا أُلْفِيَنَّ يَجِيءُ أَحَدُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لَا أُلْفِيَنَّ يَجِيءُ أَحَدُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ شَاةٌ لَهَا ثُغَاءٌ ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ فَرَسٌ لَهُ حَمْحَمَةٌ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لَا أُلْفِيَنَّ يَجِيءُ أَحَدُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ نَفْسٌ لَهَا صِيَاحٌ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لَا أُلْفِيَنَّ يَجِيءُ أَحَدُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ رِقَاعٌ تَخْفِقُ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لَا

أُلْفِيَنَّ يَجِيءُ أَحَدُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ صَامِتٌ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ أَبْلَغْتُكَ"[1]

قوله: " له رغاء ": الرغاء: صوت البعير، وكذا ما ذكره بعده صوت كل شيء وصفه به.

وكل ما غلوه واستتروا به عن الخلق في الدنيا، كما قال تعالى: {وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ}. وبزيادة شهرة ذلك؛ فتصويب الناطق وخفق غير الناطق، ومن رغاء الإبل وحمحمة الفرس، وثغاء الشاة، وصياح الآدمي، وخوار البقرة، وما لا ينطق وهو قوله: " رقاع تخفق "

أي يأتي به حاملاً لها على ظهره ورقبته، معذبًا بحمله وثقله، ومرعوبًا بصوته، وموبخًا بإظهار خيانته على رءوس الأشهاد، وهذه الفضيحة التي يوقعها الله تعالى بالغال نظير الفضيحة التي توقع بالغادر، في أن ينصب له لواء بقدر غدرته. [2]

فعدل الله قائم محقق لا محالة، كيف ينهب أو يغدر أو يخون أو يغل من يتصور نفسه في هذا المشهد، يجيء الواحدُ من هؤلاء ويحمل غدرَته أو نهبتَه التي خبأها عن بعض سكان الأرض، ليظهرها كفاحًا أمام جميع أهل

([1]) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الغلول، رقم (٣٠٧٣)، ج٤/٧٤، مسلم، كتاب الإمارة، باب غلظ تحريم الغلول رقم (١٨٣١)، ج٣/ ١٤٦١، وأحمد في المكثرين من الصحاب، مسند أبي هريرة، رقم (٩٥٠٣)، ج١٨/٣٠٧، واللفظ له.

([2]) انظر: شرح صحيح مسلمِ للقاضي عِيَاض المسمى إكمال المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِمِ: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (ت: ٥٤٤هـ)، ت: يحيى إسماعيل، دار الوفاء، ط١، ١٩٩٨م، ج٦/٢٣٣، تفسير القرطبي: ج٤/ ٢٥٦.

الأرض والسماء على السواء، فمن عرف تاب وأناب، فيتحقق ساعتها العدل فلا يسرق ولا يخون ولا يغدر ولا ينهب أحدٌ أحدًا؛ فتعمر الدنيا بالعدل.

المشهد الثالث: يخسف بغاصب الأرض إلى سبع أراضين:

يأتي الغاصب للأرض يوم القيامة في المشهد العظيم وأمام الخلائق كلهم؛ فيخسف به إلى سبعة أراضين، أو يكلف بالحفر إلى سبعة أراضين ليحمل ما غصبه إلى ارض المحشر ويجعله طوقًا في عنقه؛ جزاء ما انتهك حقوق الناس وغصب أرضهم بالظلم والباطل.

دليله: عَنْ سَالِمٍ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ أَخَذَ مِنَ الْأَرْضِ شَيْئًا بِغَيْرِ حَقِّهِ خُسِفَ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَى سَبْعِ أَرَضِينَ"(١)

لِأَن الْأَخْذ بِغَيْر الْحق ظلم، وكلمة: "شَيْئًا" تتَنَاوَل القليل والكثير، فيخسف بالغاصب فيهوى به إلى أسفلها، أو بأن يجعل كالطوق في عنقه- كما دلت عليه ألفاظ أخرى- وقد يعظم عنقه ليسع أو يطوق إثم ذلك ويلزمه لزوم الطوق، أو يكلف الظالم جعله طوقًا ولا يستطيع فيعذب بذلك فهو تكليف تعجيز للإيذاء لا تكليف ابتداء للجزاء، أو أن هذه الصفات تتنوع لصاحب

(١) اخرجه البخاري كتاب المظالم والغصب، باب إثم من ظلم شيئًا من الأرض، رقم (٢٤٥٤)، ج٣/١٣٠. أحمد في مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، رقم (٥٧٤٠)، ج١٠/٢١، وأحمد في مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، رقم (٥٧٤٠)، ج١٠/٢١

هذه الجناية بحسب قوة هذه المفسدة وضعفها فيعذب بعضهم بهذا وبعضهم بهذا.[١]

منْ نظر في العواقب وتأمل المآلات، واستبصر حال هذه الدنيا الفانية المحدودة، وعلم أن الله سبحانه محاسب الناس وأنهم قبل الحساب لعظيم ما اقترفوا ينالوا بعض الجزاء في المحشر، فمن أخذ أرضًا بغيًا وظلمًا خسف به إلى قعرها؛ لأن الأرض سبع أراض بعضها فوق بعض، فيُخسف إلى آخرها لأنها كلها ليست له من ظاهرها إلى باطنها، من علم ذلك كيف يغتصب ويظلم غيره، فيرتدع الظالم ولا يجور على غيره فيتعايش الناس بالعدل ويعم السلام بينهم.

المشهد الرابع: القصاص بين الخلائق بطرح الحسنات أو حمل السيئات:

يظهر لنا أناس يوم القيامة يطرحون على غيرهم حسنات لهم أو يحملون عنهم أوزارهم أو سيئات حملوها، وكل حسب رصيده منها، فإذا كان الظالم لديه من الحسنات ما تكفي القصاص لمظلمة خصمه أحذت منه وإلا حمل من سيئات خصمه فالقصاص واقع يوم القيامة لا محالة وله صور كثيرة ومشاهد عظيمة

---

(١)انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (ت: ٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي، ج١٢/ ٢٩٩، فيض القدير: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت: ١٠٣١ هـ)، دار الكتب العلمية، ج٦/٥٥.

دليله: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَنْ ضَرَبَ بِسَوْطٍ ظُلْمًا اقْتُصَّ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ "[١]

كيف يكون القصاص: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلِمَةٌ لِأَخِيهِ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ وَلاَ دِرْهَمٌ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْخَذَ لِأَخِيهِ مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ أَخِيهِ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ"[٢]

فرأس المال يوم القيامة إنما الحسنات والسيئات، فيتقاصّ الناس بها فتُقَدّر المظالم بالحسنات أولًا، فإن أعلن الظالم إفلاسه منها، أخذ من سيئات المظلوم؛ لتطرح على الظالم؛ ليزداد إثمًا على إثمه جزاء ما ظلم الناس، وانتقص من حقهم، فلو تصور الظالم ساعة القصاص ما رفع سوطًا، ولا لطم خدًا، ولا غصب مالًا، فلو علم واطلع وشاهد واستشعر؛ لما ظلم نفسه ابتداء، ولتحلل من صاحبه قبل مغادرة الدنيا، وفي كلا الحالين يتعايش الناس بالعدل ويقم بينهم القسط في الدنيا؛ فتسير الأرض في مركب عمارتها بشراع العدالة المقامة فيها.

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب قصاص العبد، رقم (١٨٥)، ص٧٥، والطبراني في الأوسط، باب الألف، من اسمه أحمد، رقم (١٤٤٥)، ج٢/١٢٠، البيهقي في السنن الكبرى، كتاب الجراح، باب عَمْدِ الْقَتْلِ بِالْحَجَرِ وَغَيْرِهِ مِمَّا الْأَغْلَبُ أَنَّهُ لَا يُعَاشُ مِنْ مِثْلِهِ، رقم (١٦٠٠٤)، ج٨/٨٢، والحديث صحيح.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المظالم والغصب، بَابُ مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ عِنْدَ الرَّجُلِ فَحَلَّلَهَا لَهُ، هَلْ يُبَيِّنُ مَظْلَمَتَهُ، رقم (٢٤٤٩)، ج٣/١٢٩، أحمد، في المكثرين، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، رقم (١٠٥٧٣)، ج١٦/٣٣٧.

المشهد الخامس: قنطرة المظالم القصاص الثاني:

يظهر لنا في نهاية وختام جولة حساب العباد حبس طائفة من المؤمنين، لقصاص من مظالم كانت بينهم في الدنيا؛ لتهذيبهم وتنقيتهم من تبعات هذه المظالم.

دليله: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِذَا خَلَصَ المُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ حُبِسُوا بِقَنْطَرَةٍ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَتَقَاصُّونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا نُقُّوا وَهُذِّبُوا، أُذِنَ لَهُمْ بِدُخُولِ الجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَأَحَدُهُمْ بِمَسْكَنِهِ فِي الجَنَّةِ أَدَلُّ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا"(١)

إذا خلص المؤمنون من النار فنجوا من السقوط فيها بعد ما جازوا على الصراط، فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار واختلف في القنطرة المذكورة فقيل هي من تتمة الصراط وهي طرفه الذي يلي الجنة، وقيل إنهما صراطان، فيقتص لبعضهم من بعض، حتى إذا هذبوا ونقوا وهما بمعنى التمييز والتخليص من التبعات. (٢)

ويبين هذا المشهد أهمية حقوق العبادة ولابد من رد المظالم لهم في الدنيا وإلا كان القصاص بينهم يوم القيامة مرات لا مرة واحدة؛ فلا يدخل الجنة من كان في قلبه غل وحقد من أخيه وكأن الحبس الثاني الذي يقع على القنطرة

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب قصاص المظالم، رقم (٢٤٤٠)، ج٣/١٢٨، والطبراني في الأوسط، باب الألف، باب من اسمه إبراهيم، رقم (٢٧٤٩)، ج٣/١٤٥

(٢)فتح الباري لابن حجر: ج ١١/ ٣٩٩، بتصرف.

التي تشبه الصراط كأنه تتمة له ما هو إلا تنقية وتطهير لأهل الإسلام، فمن يؤمن بذلك ويتيقنه يكف عن الظلم ويمنع نفسه عنه مخافة القصاص والحبس على قنطرة المظالم.

خلاصة توظيف الخطاب العقدي في العدل:

وظفنا بعض مشاهد الآخرة من شهادة الأعضاء على الإنسان، وعدم الغلول، والخسف للغاصب، والقصاص من الظالم المتعدي، والحبس في قنطرة المظالم؛ لتنقية المؤمنين؛ ليتضح من مشاهد الآخرة السابقة أنها كلها تؤكد على العدل وعدم الظلم، فجاءت هذه المشاهد لتدلل بكل وضوح على وقوع العدل لا محالة في الدار الآخرة، بل أن القصاص يقع مباشرة في المحشر وتقام الموازين ويتقاص الناس ويحبسوا على القنطرة للتنقية من المظالم وتبعاتها.

وبهذا يتضح أن ما كان من حقوق الآدميين فإن الله عز وجل لا يغفره لأصحابه إلا بإعادة الحقوق إلى أهلها، فحق الآدميين فيما بينهم آكد وأوجب على حق الله عز وجل الخاص سوى الشرك؛ لأن حق الآدميين يقوم على المشاحة وحق الله سبحانه يقوم على المسامحة؛ لواسع رحمته جل في علاه.

لذلك ينبغي رد المظالم قبل فوات الأوان؛ لأن قضاؤها يوم القيامة يكون بالسيئات والحسنات

كل ذلك شاهد ودليل نستصحبه في توظيف الخطاب العقدي المحفز والمعزز لمحور العدل القيمة الرئيسة في الضبط الاجتماعي.

خلاصة: عندما طرحنا لمحاور الضبط الاجتماعي تصورنا أنه يمكن تقسيمها إلى ثلاث محور رئيسة منها التكافل الاجتماعي، والتعايش، والعدل، وجاءت

مشاهد الآخرة، تؤسس لهذه المحاور وترفع من قيمتها، فيمكن منها كما وضحنا توظيف خطاب عقدي لهذه المشاهد، يدفع قاطرة عمارة الدنيا ويصون مسيرتها بأطيافها المختلفة دينًا، وعرقًا، ولونًا.

المبحث الثاني: التنمية:

المطلب الأول: التعريف:

التنمية هي المحور الثاني بعد الضبط الاجتماعي، من محاور عمارة الدنيا، وإن كانت التنمية ليست مقصودة لذاتها إلا أنها أساس تقوم علية ركيزة الاستخلاف في الأرض وتعميرها وإصلاحها، فلا يتصور قيام الدنيا من غير تطور وتكييف لمواردها، لتستوعب زيادة مضطردة في عدد سكان الأرض مع قلة الموارد أو ثباتها من ناحية أخرى.

وينظر للتنمية من مفهوم إسلامي أوسع من النظريات الأخرى؛ لأن الإسلام دائمًا وأبدًا ما يوسع مقاصده لتشمل عمارة الدنيا بكل جوانبها وأبعادها، على هدي من الشريعة وأحكامها، ولا يمكن الفصل بحال من الأحوال بين الشريعة والحياة.

ويجب الإشارة قبل توضيح هذا المبحث أنه يعد محصلة للضبط الاجتماعي السابق ذكره فعناصر ومقومات التكافل الاجتماعي وأسس التعايش الإنساني المشترك مع تحقيق العدالة كلها روافد تغذي مسار التنمية وتؤسس له، فما يصلح أصالة من مشاهد وخطاب عقدي في المحاور السابقة، يصلح تبعًا ليؤسس لمحور التنمية وينهض به.

ونشرع في تعريف التنمية لغة واصطلاحًا قبل البدء في عرض المشاهد واستخلاص وتوظيف الخطاب العقدي منها.

ويمكن تعريف التنمية لغة: نَمَى النُّونُ وَالْمِيمُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى ارْتِفَاعٍ وَزِيَادَةٍ، وَنَمَى الْمَالُ يَنْمِي: زَادَ، والنَّماءُ: الزِّيَادَةُ. نَمَى يَنْمِي

نَمْيًا ونُمِيًّا، وربما قالوا نمو، وَنَمَى الْخِضَابُ يَنْمِي وَيَنْمُو، إِذَا زَادَ حُمْرَةً وَسَوَادًا، وَتَنَمَّى الشَّيْءُ: ارْتَفَعَ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ. قَالَ الشاعر:

يَا حُبَّ لَيْلَى لَا تُغَيَّرْ وَازْدَدِ وَانْمِ كَمَا يَنْمِي الْخِضَابُ فِي الْيَدِ [١]

واصطلاحًا: تتنوع تعريفات التنمية وتتلف طبقًا للنظرية الاجتماعية السائدة في المجتمع، فقد تغلب النظرة الاقتصادية فيركز التعريف على المحاور الاقتصادية وقد تشمل مفاهيم متنوعة متعلقة بالاستدامة أو الشمول وغيرها؛ لكن بوجه عام يمكن تعريف التنمية على أنها: الجهود التي تبذل لإحداث سلسلة من التغيرات الوظيفية والهيكلية اللازمة لنمو المجتمع، وذلك بزيادة قدرة افراده على استغلال الطاقة المتاحة إلى اقصى حد ممكن؛ لتحقيق أكبر قدر من الحرية والرفاهية لهؤلاء الافراد بأسرع من معدل النمو الطبيعي.

ويجب الإشارة إلى أن مفهوم التنمية يختلف عن مفهوم النمو الاجتماعي الذي يشير إلى التغير الاجتماعي الذي يلحق بالبناء الاجتماعي عن طريق التطور الطبيعي والتحول التدريجي. [٢]

وعرفها بعض الباحثين من منظور إسلامي فجعلها "عملية تطوير وتغيير قدر الإمكان نحو الأحسن فالأحسن وتكون مستمرة وشاملة لقدرات الإنسان، ومهاراته المادية، والمعنوية؛ تحقيقًا لمقصود الشارع من الاستخلاف في

---

(١) انظر: مقاييس اللغة: مرجع سابق، ج٥/ ٤٧٩، لسان العرب: مرجع سابق، ج ١٥/ ٣٤١.

(٢) معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية: مرجع سابق، ص ٣٨٤.

الأرض برعاية أولي الأمر ضمن تعاون إقليمي، وتكامل أممي بعيدًا عن أي نوع من أنواع التبعية" [١]

فيمكن القول إنه توافقَ إلى حد كبير المعنى اللغوي والاصطلاحي، **ويمكن للباحث أن يضع تعريفًا للتنمية** ينبع من الرؤية الشرعية ويتوافق مع عالمية الإسلام على النحو التالي: " **عمليات الاستغلال الأمثل للموارد المادية المتاحة واستثمارها من خلال توظيف كامل طاقة الموارد البشرية للوصول إلى النمو الاقتصادي وتحقيق العدالة والرفاهية الاجتماعية مع الالتزام بالأحكام الشرعية ومراعاة الأعراف الدولية للوصول إلى عمارة الدنيا وتحقيق الاستخلاف فيها"**

المطلب الثاني: الحث على العمل:

ونعرض فيما يلي بعض المشاهد الأخروية التي تعزز معاني التنمية وتدعمها على النحو التالي:

المشهد الأول: خفاء موعد الساعة لحكم نعلم بعضها ونجهل بعضها:

لا أحد يعرف متى الساعة والنبي صلى الله عليه وسلم ورد عليه السائلون من الأعراب وجاءه جبريل عليه السلام -يعلم الناس- يسألون في غير موطن عن موعد الساعة، بل وجاءت به النصوص القطعية التي تخبر بعدم علم النبي صلى الله عليه وسلم وأنها من الغيبيات التي لا يعلمها إلا الله؛ لكن من باب الإنذار والإعذار أخبر النبي بأماراتها وعلاماتها حتى يحذر

---

(١) مفهوم التنمية وخصائصها من وجهة نظر إسلامية: حسن إبراهيم الهنداوي، مجلة التنوير، مركز التنوير المعرفي، عدد٥، ٢٠٠٨م، ص٢٦.،

الناس وكأن هذه العلامات من رسل الله لعباده كالمشيب والوهن والضعف والكبر، كلها رسل تخبر باقتراب الحساب وقرب الساعة.

قال سبحانه: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [الأعراف: ١٨٧] فالساعة من الغيب الذي استأثر الله تعالى بعلمه، ولم يطلع عليه لا ملكًا مقربًا، ولا نبيًا مرسلًا.

دليله: من القرآن: قال الله تَعَالَى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا} [النَّازِعَاتِ: ٤٢-٤٦] ، وَقَالَ تَعَالَى: {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ} [لُقْمَانَ: ٣٤]، وَقَالَ تَعَالَى: {وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا} [الْأَحْزَابِ: ٦٣] وَقَالَ تَعَالَى: {إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ} [فُصِّلَتْ: ٤٧]، وَقَالَ تَعَالَى: {وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ} [الشُّورَى: ١٧، ١٨]

ومن السنة: سؤال جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم كما في حديث عمر رضي الله عنه، وفيه، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: "مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ" (١)

وإنما أخفى سبحانه أمر الساعة لاقتضاء الحكمة التشريعية ذلك، فإنه ادعى إلى الطاعة وأزجر عن المعصية كما أن إخفاء الأجل الخاص للإنسان كذلك، ولو قيل بأن الحكمة التكوينية تقتضي ذلك أيضًا لم يبعد، وظاهر الآيات أنه عليه الصلاة والسلام لم يعلم وقت قيامها، نعم علم عليه الصلاة والسلام قربها على الإجمال وأخبر صلّى الله عليه وسلّم به.(٢)

إخفاء يوم القيامة من أجل استمرار عمارة الأرض، فلو علم الناس موعدها لطال بهم الأمل وقصر بهم عن العمل مثله مثل الموت، ويدل على هذه الحكمة رد النبي صلى الله عليه وسلم للسائل حينما قال له ما ذا أعددت لها، فالعدة له هو المقصد، والمطلوب، والغاية، والمراد، والإخفاء يلزم له حسن المراقبة وطول المداومة وعدم الفتور من الإكثار من الأعمال الصالحات.

---

(١) البخاري كتاب الإيمان، بَابُ سُؤَالِ جِبْرِيلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الإِيمَانِ، وَالإِسْلاَمِ، وَالإِحْسَانِ، وَعِلْمِ السَّاعَةِ، رقم (٥٠)، ج١/١٩، مسلم في كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ معرفة الْإِيمَانِ، وَالْإِسْلَامِ، والقَدَرِ وَعَلَامَةِ السَّاعَةِ، رقم (٨)، ج١/٢٦.

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، ت: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٤م، ج٥/١٢٥.

المشهد الثاني: وصية النبي صلى الله عليه وسلم بالعمل وإن قامت الساعة:

أوصى النبي صلى الله عليه وسلم لمشهد استشرافي، يوصي فيه بأن يستمر العمل ولا ينقطع في إعمار الدنيا وتحصيل الثواب حتى وإن قامت القيامة.

وهو حرص من النبي صلى الله عليه وسلم على حث المسلمين على الإنتاج والعمل المثمر وهما رافدي التنمية حتى في اشد وأصعب الأوقات

دليله: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا تَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا"[١]

فإن استطاع ألا يقوم من محله أي الذي هو جالس فيه حتى يغرسها فليغرسها، والحاصل أنه مبالغة وحث على غرس الأشجار وحفر الأنهار؛ لتبقى هذه الدار عامرة إلى آخر أمدها المحدود المعلوم عند خالقها، فكما غرس غيرك وشبعت به، فاغرس لمن يجيء بعدك، وإن لم يبق من الدنيا إلا صبابة. [٢]

---

(١) أخرجه والبخاري في الأدب المفرد، باب اصطناع المال، رقم (٤٧٩)، ص١٦٨، أحمد في المكثرين من الصحابة، مسند أنس بن مالك رضي الله عنه، رقم (١٢٩٠٢)، ج٢٠/ ٢٥١، والحديث صحيح.

(٢) انظر: التنوير شرح الجامع الصغير: مرجع سابق، ج٤/ ٢٤١، فيض القدير: مرجع سابق، ج ٣/ ٣٠.

فكيف والمسلم بينه وبين الساعة أمدًا لا يعلمه وأجلًا لا يعرفه، فمن باب أولى أن يستمر في العمل وإدراك الأجر، قبل فوات الأوان وانتهاء الزمان؛ ليدرك الأجر ويحصل الثواب.

المطلب الثالث: المداومة على العمل:

المشهد الأول: يُؤَذِّنُ الْمُؤَذِّنُ، وَيُلَبِّي الْمُلَبِّي، ويهزي السكران فيبعث كل عبد على ما مات عليه:

يظهر لنا بعض الناس يوم القيامة بعضهم يؤذن وبعضهم سكران من الشراب وثالث يلبي وكأنه في الحج، فتتفاوت بعض أعمال الناس، وغن كان المراد بها حالة الطاعة والمعصية، بخلاف المباحات، فلا يبعث العامل وفي يديه آلته ولا الطبيب في يديه مشرط؛ إنما المقصود الطاعة والمعصية.

دليله: عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: "يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ" (١)

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَجُلًا كَانَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَوَقَصَتْهُ نَاقَتُهُ وَهُوَ مُحْرِمٌ، فَمَاتَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

(١) أخرجه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت، رقم (٢٨٧٨)، ج٤/ ٢٢٠٦، أحمد في المكثرين من الصحابة، مسند جابر بن عبد الله رضي الله عنه، رقم (١٤٩٤١)، ج ٢٣/ ٢٠٠،

وَسَلَّمَ: "غْسِلُوهُ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ، وَكَفِّنُوهُ فِي ثَوْبَيْهِ، وَلاَ تَمَسُّوهُ بِطِيبٍ، وَلاَ تُخَمِّرُوا رَأْسَهُ، فَإِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ القِيَامَةِ مُلَبِّيًا"(١)

قال الله ربنا: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ} [الزلزلة: ٧، ٨]

وقال سبحانه: {يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ} [آل عمران: ٣٠]

وإن كانت الآية تحث عن الثواب والعقاب؛ لكنه محصلة للعمل الصالح، وهل تمهيد السبل وحفر الآبار، وإعانة الملهوف والعمل فيما ينفع الناس إلا أعمال صالحة ، يقول تعالى: {يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ } [المجادلة: ٦]

وإن كانت هذه الأدلة عامة إلا أنه سبق وأن بينا أن أعمال الخير ونفع الناس كله أجر وثواب ومندوب إليه وقد يجب في بعضه وقد يأثم من يتركه إن كان في مقدوره ويتركه ضررًا بغيره.

المشهد الثاني: بعض أهل المحشر جلود وجوهم مقشرة:

يظهر لنا بعض أهل المحشر بوجوه جلودها مقشرة محفورة، كأن صاحبها نهش وجهه فقشر ما فيه من جلد، والوجه يشف عن كثير من الصفات ويكشف عنها منها الحياء والخجل والاستعفاف، فلما ظاهر صاحبنا بوجه

---

(١) البخاري، كتاب جزاء الصيد، باب سنة المحرم إذا مات، رقم (١٨٥١)، ج ١٧/٣، مسلم، كتب الحج، باب ما يفعل بالمحرم إذا مات، رقم (١٢٠٦)، ج ٨٦٥/٢.

مكشوف غير مكسوف ولا عفيف؛ عوقب بنهش جلده وتقشيره، عقابًا على ما فرط من الحياء والاستعفاف.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ سَأَلَ، وَلَهُ مَا يُغْنِيهِ، جَاءَتْ مَسْأَلَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُدُوشًا [١]، أَوْ خُمُوشًا، أَوْ كُدُوحًا فِي وَجْهِهِ [٢]، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا يُغْنِيهِ؟ قَالَ "خَمْسُونَ دِرْهَمًا، أَوْ قِيمَتُهَا مِنَ الذَّهَبِ"[٣]

عَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ العَوَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ، فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةِ الحَطَبِ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيَبِيعَهَا، فَيَكُفَّ اللَّهُ بِهَا وَجْهَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ"[٤]

وَالْمعْنَى: إِن لم يجد إلاَّ الاحتطاب من الْحَرْف، فَهُوَ مَعَ مَا فِيهِ من امتهان الْمَرْءِ نَفسه، وَمن الْمَشَقَّة خير لَهُ من الْمَسْأَلَة.[٥]

---

(١)خدش الجلد قشره

(٢)والخموش والكدوح مثله

(٣) أخرجه ابن ماجه، كتاب الزكاة، باب من سأل عن ظهر غنى، رقم (١٨٤٠)، ج١/٥٨٩، الترمذي في أبواب الزكاة، باب من تحل له الزكاة، لرقم (٦٥٠)، ج٣/٣١، وأبو داود، كتاب الزكاة، باب من يعطى من الصدقة وحد الغنى، رقم (١٦٢٦)، ج٢/١١٦، أحمد في المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن مسعود، رقم (٣٦٧٥)، ج٦/١٩٤والحديث اسناده صحيح.

(٤) اخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة، رقم (١٤٧١)، ج٢/ ١٢٣، أحمد مسند باقي العشرة المبشرين بالجنة، مسند الزبير بن العوام رضي الله عنه، رقم (١٤٠٧) ج٣/٢٥.

(٥)عمدة القاري شرح صحيح البخاري: مرجع سابق، ج٩/ ٥١.

وهذا حث على العمل وترك المسألة وإن لم يجد إلا الاحتطاب الذي لا يحتاج إلى فن أو صنعة أو تعلم، فيسد به حاجة بالكاد لكان أفضل من المسألة.

خلاصة توظيف الخطاب العقدي في التنمية:

بينت المشاهد السابقة إمكانية توظيف الخطاب العقدي المتعلق بمشاهد الآخرة؛ لتحقيق التنمية كمحور من محاور عمارة الدنيا، وسبق أن ذكرنا أن كل محاور الضبط الاجتماعي السابقة تصلح أن تعزز التنمية وتدفع قاطرتها، فالتكافل والتعايش والعدل إنما هي حاضنة التنمية، ومفرختها الرئيسة، ومن ناحية أخرى ظهرت لنا مشاهد فرعية عززت التنمية، ومن ذلك:

- خفاء موعد الساعة وأهميته في الحث على العمل.
- وصية النبي بالاستمرار بالعمل حتى قيام الساعة
- إن الإنسان يبعث على ما مات عليه فهي دعوة للاستمرار في العمل وتحريه
- منع المسألة إلا لحاجة شديدة، وإلا فعلى الإنسان أن يمتهن ما يسد رمقته.
- جاءت مشاهد الآخرة السابقة تحث على العمل والمداومة عليه وتنهى عن عرقلة مسار التنمية بالتكاسل ومسألة الخلق وترك العمل.

المبحث الثالث الكلمة السواء:

المطلب الأول: الكلمة السواء دعوة كل الأنبياء:

إن كانت عمارة الدنيا تقوم على التعاون المشترك، والتعايش السلمي، والاحترام المتبادل، وتحقيق الرخاء والتنمية، فإنه لا تقوم عمارة الدنيا بمعناها الحقيقي إلا بتحقيق مراد الخالق من تعميرها بالعبادة، فإن كانت حقوق العباد واجبة فإن حق الله آكد وأوجب، فتحقيق الاستخلاف والعمارة وإقامة الحضارات مادية ومعنوية يجب أن يكون على هدي الأنبياء والرسول عليهم السلام ووفق مراد الخالق سبحانه وحكمته في خلقه.

ومن هنا لا نستطيع أن نختم عمارة الدنيا إلى بتحقيق هدف العيش الأسمى فيها وهي الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، فتجلى العمارة الحقة في تعبيد الناس لرب العالمين والدعوة لدينه الخاتم القويم.

فدين الله واحد، وشرائعه مختلفة، فكل رسول كان يدعو قومه على ما أوخي إليه من ربه إلا أن أكتمل الدين الواحد كله بختام دعوة النبي صلى الله عليه وسلم وأمر الله سبحانه الرسل بتبليغ رسالة ربهم من أولهم إلى أخرهم وأنهم كلهم أقروا وشهدوا أن دينهم كلهم واحد وهو الإسلام قال نوح عليه السلام : {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ (٧١) فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ} [يونس: ٧١، ٧٢]، وكذلك قال إبراهيم ويعقوب عليهما السلام: {وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَابَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [البقرة: ١٣٢] وذكر يوسف عليه السلام وهو يعدد نعم الله عليه: { رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ

وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ} [يوسف: ١٠١]، وقالها موسى عليه السلام لقومه: { وَقَالَ مُوسَى يَاقَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ} [يونس: ٨٤]، وقال الحواريون يقر أمام رسول الله عيسى عليه السلام: { وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ} [المائدة: ١١١]، وقال نبينا صلى الله عليه وسلم: {قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (١١) وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ} [الزمر: ١١، ١٢]،

ومن هنا جاءت الدعوة لأهل الكتاب لما حادوا عند طريق أنبيائهم، فتم تذكيرهم ودعوتهم إلى الكلمة السواء فقال:{قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ}[آل عمران:٦٤]

هذا الخطاب يعم أهل الكتاب من اليهود والنصارى ومن جرى مجراهم، قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة وصفها بقوله سواء بيننا وبينكم أي عدل ونصف نستوي نحن وأنتم فيها، ثم فسرها بقوله: ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا لا وثنا ولا صليبا ولا صنما ولا طاغوتا ولا نارا ولا شيئا، بل نفرد العبادة لله وحده لا شريك له، وهذه دعوة جميع الرسل، وهي كلمة التوحيد وترك اتباع الهوى فإن ذلك متفق عليها لم يختلف فيه نبي ولا كتاب قط، وهي فلا نرى

غير الله سبحانه مستحقًا للعبادة فنشركه معه، بل نفرد العبادة لله وحده، لا شريك له. وهذه دعوة جميع الرسل. [1]

قال سبحانه: {وَما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ}[الأنبياء:٢٥]، وقال تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} [النحل: ٣٦]

المطلب الثاني: عقوبات ترك التوحيد والانحراف عنه:

المشهد الأول: بعض الناس يعض على يديه حسرة وندامة على ما فرط من التوحيد:

لشدة تحسر الكافر وندمه على عدم اتباعه للرسول الذي بعثه الله إليه، واتباعه لأعداء الرسل، فإنه يعض على يديه حسرة وندامة ويتمنى ساعتها حيث لا ينفع الندم ولا الرجاء إنما الحسرة والندامة ليزداد عذابًا على عذابه الذي سيعاينه ويعيشه ويكابده حقيقة بمقدمات هذه الحسرات المتتالية بعضه على يديه.

دليله: {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَالَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا يَاوَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا}[الفرقان:٢٧-٢٩]

والظَّالِمُ بمعناه العام، ومقصد الآية تعظيم يوم القيامة وذكر هوله، بأنه يوم تندم فيه الظلمة وتتمنى أن لو لم تطع في دنياها خلانها الذين أمروهم

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير: مرجع سابق، ج٢/ ٤٧، تفسير الألوسي: مرجع سابق، ج ٢/ ٢١٢، تفسير القاسمي: مرجع سابق، ج٢/ ٣٣١.

بالظلم، فكل ظالم يندم يوم القيامة غاية الندم، ويعض على يديه قائلا يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلانا خليلا يعني من صرفه عن الهدى وعدل به إلى طريق الضلال من دعاة الضلالة [١]

المشهد الثاني: عطش بعض أهل الكتاب وتساقطهم في النار كأنها سرابهم:

يرد بعض أهل الكتاب ممن أشركوا بالله وعبدوا غيره أو عبدوا آلهة أخرى معه جل وتنزه عن الصاحبة والولد، ويسألون الله وهم في شدة العطش أن يسقوا من الماء فإذ بهم يرون النار سرابًا فيتساقطوا فيها وكأنها شرابهم جزاء بما قدموا وافتروا على الله الكذب.

دليله: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قَالَ: قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ: "هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالقَمَرِ إِذَا كَانَتْ صَحْوًا؟"، قُلْنَا: لاَ، قَالَ: "فَإِنَّكُمْ لاَ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ يَوْمَئِذٍ، إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَتِهِمَا" ثُمَّ قَالَ: " يُنَادِي مُنَادٍ: لِيَذْهَبْ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، فَيَذْهَبُ أَصْحَابُ الصَّلِيبِ مَعَ صَلِيبِهِمْ، وَأَصْحَابُ الأَوْثَانِ مَعَ أَوْثَانِهِمْ، وَأَصْحَابُ كُلِّ آلِهَةٍ مَعَ آلِهَتِهِمْ، حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ، مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، وَغُبَّرَاتٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، ثُمَّ يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ تُعْرَضُ كَأَنَّهَا سَرَابٌ، فَيُقَالُ لِلْيَهُودِ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللَّهِ، فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ، لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةٌ وَلاَ

---

(١) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ)، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م، ج٤/ ٢٠٨، تفسير ابن كثير: مرجع سابق، ج٦/٩٨.

وَلَدٌ، فَمَا تُرِيدُونَ؟ قَالُوا: نُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَنَا، فَيُقَالُ: اشْرَبُوا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ، ثُمَّ يُقَالُ لِلنَّصَارَى: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: كُنَّا نَعْبُدُ المَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ، فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ، لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةٌ، وَلاَ وَلَدٌ، فَمَا تُرِيدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: نُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَنَا، فَيُقَالُ: اشْرَبُوا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ، حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ ...."

وفي رواية عند البخاري ومسلم أيضًا " فَمَاذَا تَبْغُونَ؟ قَالُوا: عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا، فَاسْقِنَا، فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ أَلَا تَرِدُونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ"(١)

وهكذا يظهر المشهد إقرار بعض أهل الكتاب بالكفر؛ لأنهم لم يفردوا الله بالتوحيد والعبادة ومن هول المطلع وشدته وطول مدته ووقوفهم في العرصات مع دنو الشمس وشدة الحر فيعطشون ويطلبون الماء ويبكتوا لجرمهم ويشار إلى النار فيروها سرابًا؛ فيندفعون إليها ويتساقطون فيها ، ولن تنجيهم أعمالهم في الدنيا مهما كان نفعها طالما لم يأتوا بالتوحيد، قال ربنا :{ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ} [النور: ٣٩]

وقال جل في علاه: {مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ} [إبراهيم: ١٨]

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [القيامة: ٢٣]، رقم (٧٤٣٩)، ج٩/ ١٢، مسلم كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، رقم (١٨٣)، ج١/٦٧.

فهذا المشهد يستنبط منه أنه لا نجاة إلا بالتوحيد وأن الكلمة السواء هي عبادة الله وحده لا شريك له.

المطلب الثاني: التمايز بين أهل التوحيد وأهل الشرك:

المشهد الأول: الشيطان بخطب في اتباعه:

إذ بالشيطان يخطب في أهله وذويه وتابعيه وأنصاره، ويقف بعد فوات الأوان حيث لا رجعة ولا عودة، بل قضي الأمر فريق في الجنة وفريق في السعير، الشيطان يخطب اليوم بعدما كان يوسوس أمس وهكذا يتكشف كل شيء كان خفيًا في الدنيا فيتجلى في الأخرة حتى صوت الشيطان يتحول من الوسوسة على الجهورية فيخطب في اتباعه، متخليًا عنهم بعدما طرحهم في النار وفي كل مشاهد الآخرة يتخلى الذين استكبروا عن اتباعهم من الضعفاء أسوة بسيدهم إبليس كبيرهم ومستكبرهم الأول.

دليله: {وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٢)} [إبراهيم: ٢٢]

إذا كان يوم القيامة، قام إبليس خطيبًا على منبر من نار، قال الحسن: يقف إبليس يوم القيامة خطيباً في جهنم على منبر من نار يسمعه الخلائق جميعًا، {إن الله وعدكم وعد الحق} يعني البعث والجنة والنار وثواب المطيع وعذاب العاصي، {ووعدتكم}: أن لا بعث، ولا جنة ولا نار ولا ثواب ولا عقاب؛ {فأخلفتكم وما كان لي عليكم مِن سلطان إلاّ أن دعوتكم فاستجبتم لي

فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخيَّ}: ما أنا بمغيثكم وما أنتم بمغيثي. [١]

وهذا حال كل شركاء السوء يوم القيامة من الخلان والاتباع، والضعفاء والذين استكبروا، والظالمين وأذنابهم ومعاونيهم، كلهم يتبرأ من الآخر ويتنصل منه، الجميع في النار فالله قد حكم بين العباد.

وتجلى استشراف هذا المشهد في الحياة الدنيا في الكلمة السواء، فإن الشيطان وهو الذي حول الناس من التوحيد إلى الشرك، وسوس لهم وزين لهم أعمالهم، فيصرخ فيهم يوم القيامة بأنه لم يكن له سلطان عليهم، إنما كانت إرادتهم، فهلا جعل هذا المشهد اتباع الشيطان يفيقون من غفلتهم، ويهبون من ثباتهم، ويستيقظون من نومهم في الشرك ويعودن إلى التوحيد والكلمة السواء.

مشهد الثاني: الملائكة تسوق العباد إلى الجنة أو إلى السعير:

تظهر الملائكة في نهاية المشاهد لسوق المؤمنين جماعات جماعات كل في رفقته من أصحاب أهل الدرجات، ويسوقون الكفار جماعات جماعات كل في زمرته من أهل الدركات أو الدرجات التي هي منازلهم في النار، والسعيد من ركب في المراكب الأولى ونزل مواطن الدرجات العلى، والشقي من تخلف عن ركب الصلاح، وترك رفقة أهل الفلاح، فسقط مع أصحابه إلى قعر النيران.

---

(١) انظر: تفسير الطبري: مرجع سابق، ج ١٦/ ٥٦٣، تفسير الماوردي: مرجع سابق، ج ٣/ ١٣٠.

دليلـه: {وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧١) قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (٧٢) وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (٧٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ(٧٤)}[الزمر: ٧١-٧٤]

يساق الكافر إلى النار والمؤمن إلى الجنة، في جماعات، فيساق الذين اتقوا من الشهداء والزهاد والعلماء والقراء وغيرهم، ممن اتقى الله تعالى وعمل بطاعته، إسراعًا بهم إلى دار الكرامة، وقيل سيق مراكبهم إذ لا يذهب بهم إلا راكبين، جماعات على تفاوت مراتبهم في الشرف وعلو الطبقة، وأن أبواب الجنة تفتح لهم قبل مجيئهم غير منتظرين، ويساق الذين كفروا أفواجًا متفرقة على تفاوت أقدامهم في الضلالة والشر، وإنما يساقون سوقا عنيفا، بزجر وتهديد ووعيد.[١]

وتقترب مشاهد الختام فهذا مشهد السوق إما بلطف لأهل الجنة أو بعنف لأهل النار؛ ليعتبر معتبر ويعود الناس إلى الكلمة السواء حتى يدركوا هذه اللحظات فلا يندموا على ما فرطوا.

---

(١) انظر: القرطبي: مرجع سابق، ج١٥/٤٨٣، أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، ت: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٩٩٧م، ج٥/٤٩.

المشهد الثالث: أذان المؤذن: أن لعنة الله على الظالمين:

بعد أن استقر فريق في الجنة وآخر في السعير، يعلن مؤذن بأعلى صوته أن لعن الله على الظالمين فهم قد طردوا من رحمة الله وحل بهم عذابه، وذلك بعد المناداة من أهل الجنة لأهل النار أنهم قد وجودوا ما عملوا حاضرًا من النعيم في جنان رب كريم.

دليله: {وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ} [الأعراف: ٤٤]

بعد استقرار كل منهما في داره، وتمكنه في قراره، فيخاطب بعضهم بعضًا، بما يزيد أهل الجنة عرفانًا بقيمة نعمة الله عليهم، ويزيد أهل النار حسرة على تفريطهم وشقاء على شقائهم، حتى إذا ما وجهوا أبصارهم إليهم سألوهم سؤال تبجح وافتخار بحسن حالهم، وتهكم وتذكير بما كان من جناية أهل النار على أنفسهم بتكذيب الرسل، وتقرير لهم بصدق ما بلغوهم من وعد ربهم لمن آمن وأصلح بنعيم الجنة قائلين: قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا وها نحن أولاء فيه، فهل وجدتم ما وعد ربكم من آمن به وبما جاءت به رسله حقًا.[١]

وهذه الحالة نكاية بالكفار الذي دأبوا في الحياة الدنيا من السخرية بالمؤمنين والاستخفاف بهم، فتبدلت الأيام وانقلبت الأحوال، ولا ظلم اليوم حتى في القصاص العادل من السخرية والاستهزاء في الدنيا وأحدهما بحق والآخر

(١) تفسير المنار: مرجع سابق، ج٨/ ٣٧٧، بتصرف.

بباطل، فهنا يذوق الكفار الويلات حقيقة أما في الدنيا فيمس المؤمنين عذابٌ معنويٌ فقط أما الآخرين في الآخرة يمسهم عذاب معنوي ومادي على السواء.

فانتقال هذا المشهد إلى الإيمان به في الحياة الدنيا من شأنه تعظيم التوحيد في قلوب الناس وتقوية المؤمنين بإيمانهم وزجر الكافرين بكفرهم إذا نظر كل واحد منهما إلى مصيره ومآله.

المشهد الأخير: يُذبح الموت وينادي منادي الخلود:

يأتي الموت يوم القيامة في هيئة كبش ويذبح بين الجنة والنار، وينادي منادي الخلود، يأهل الجنة خلود بلا موت فيا فرحة المنادى، يأهل النار خلود بلا موت فيا حسرة المقصود.

دليله: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، يُجَاءُ بِالْمَوْتِ كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحُ، فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ قَالَ: فَيَشْرَئِبُّونَ فَيَنْظُرُونَ، وَيَقُولُونَ: نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ، قَالَ: فَيُقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ قَالَ: فَيَشْرَئِبُّونَ فَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ، قَالَ: فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُذْبَحُ، قَالَ: وَيُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ لَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ لَا مَوْتَ، قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ} [مريم: ٣٩] قَالَ: وَأَشَارَ بِيَدِهِ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ فِي حَدِيثِهِ: " فِي غَفْلَةٍ، قَالَ: أَهْلُ الدُّنْيَا فِي غَفْلَةِ الدُّنْيَاَ. قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ

فِي حَدِيثِهِ: "إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، يُجَاءُ بِالْمَوْتِ كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحُ" [(١)]

في الحديث دلالة على أن ما كان قد روع المؤمنين من الموت، فإن من تمام النعمة أن يصور لهم في صورة ثم يذبح، ومن تمام أهل النار أنهم لما تمنوا الموت لشدة ما يلقون من العذاب يأسوا منه عند ذبحه فلم يبق لهم طمع في فرج فازداد همهم وغمهم. [(٢)]

أية لحظة تلك، أي نعيم هذا حينما يشعر أهله بأن نعيمهم مقيم، ويتيقن أهل الندامة أن حسرتهم مستمرة، كيف تمر لحظات الدنيا مهما بلغت مدتها وقسوتها على أهل هذ النعيم، يشعرون ساعتها أن طيف يوم حار مضى، وكيف تمر لحظات الدنيا مهما طالت لذتها ونعيمها على أهل هذا العذاب المقيم، يشعرون ساعتها أن الدنيا كلها وكل نعيمها لا تساوي حسرة وألم هذا المشهد.

فلمثل هذا فليعمل العاملون.

---

(١) أخرجه مسلم كتاب صفة النار، باب ذبح الموت، رقم (٧٢٨٣)، ج ٧/ ٢٣٥، وعند البخاري من طريق ابن عمر بلفظ غيره، كتاب الرقاق، باب صفة الجمة والنار، رقم (٦٥٤٨)، ج٨/١١٣، أحمد في المكثرين من الصحابة، مسند أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، رقم (١١٠٦٦)، ج١٧/١٢٠

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح: مرجع سابق، ج ٤/ ٨٢.

خلاصة توظيف الخطاب العقدي في الكلمة السواء:

اتضح امكانية توظيف بعض مشاهد الآخرة في مخاطبة غير المسلمين على الكلمة السواء في عبادة الله وحده لا شريك فجاءت المشاهد على النحو التالي:

- يظهر الآخرين يوم القيامة في مشاهد خزي وندامة منها عض الأصابع دلالة على الحسرة على ما فرطوا من كلمة التوحيد
- يظهر بعض أهل الكتاب يسرعون إلى النار يلقون بأنفسهم فيها جزاء ما فرطوا في دعوة أنبيائهم.
- ظهر الشيطان في الجحيم يخطب في اتباعه معلنًا أنه لا سلطان له عليهم إلا من أنفسهم وبإرادتهم مما يظهر ضعف كيد الشيطان وإمكانية التغلب عليه.
- مشهد يساق في الناس جماعات كل تبع عمله في الدنيا فمتقدم، إلى الجنة ويلحق بهم آخرون، ومنقاد إلى النار ويجر بعدهم آخرون
- أذن مؤذن الخلود مما يسهل كل أحزان الدنيا وآلامها بعد هذا الأذان.
- وفي النهاية يذبح الموت فنعيم مقيم وعذاب أليم ولا ظلم اليوم وكل نفس بما كبت رهينة.

النتائج والتوصيات:

أولًا: النتائج:

انتهى البحث إلى عدد من النتائج نجملها فيما يلي:

١- اتضحت أهمية توظيف الخطاب العقدي وضرورته في طرح ونشر قضايا الاعتقاد.

٢- تم وضع تعريف لتوظيف الخطاب العقدي يقوم على أساس آنية الحاجة إلى الخطاب، وربط العقيدة بالسلوك والعمل.

٣- انتهى البحث إلى وضع منهج لتوظيف الخطاب العقدي له خصائص وسمات ينبغي استلهامها عندما يتم معالجة وطرح قضايا الاعتقاد.

٤- استطاع البحث الكشف عن مطابقة طرحه النظري لتطبيقه العملي من خلال توظيف الخطاب العقدي لمشاهد الآخرة؛ لتعزيز قيم ومحاور عمارة الدنيا وجاءت محتويات هذه التوظيف على النحو التالي:

- عززت مشاهد الآخرة لقيم الضبط الاجتماعي وأسسه المختلفة من التكافل والتعايش وإقامة العدل، وبرزت قيم التعايش بشكل أوضح التي تضمنت ضمان الحقوق، والاحترام، المتبادل بين الأطياف المختلفة، والامن المجتمعي، والتعاون البناء، وكأن التعايش هو ركيزة الضبط الاجتماعي وأس عمارة الدنيا.
- عززت مشاهد الآخرة لمحاور التنمية وصورها من الحث على العمل والمداومة عليه.

- عززت مشاهد الآخرة الدعوة إلى الكلمة السواء قاطرة الاستخلاف، وأصل التعايش ولحمته.

٥- قدرة توظيف الخطاب العقدي على استنباط خطاب أممي يصلح لعالمية الخطاب في المحافل الدولية؛ ليبين محاسن الإسلام، ويزيل ما علق به من تصدير صور الكراهية والعنف العالقة به على غير الحقيقة.

٦- قدرة توظيف الخطاب العقدي على ابتكار طرق ومعالجات جديدة تمكنه من الدعوة إلى الله ونشر الكلمة السواء في ظل المتغيرات العالمية واختلاف الواقع وتطوره.

٧- إمكانية استخدام الوسائل والتقنيات المعاصرة في تقديم خطاب عقدي بسيط في طرحه عميق في دلالته.

ثانيًا: التوصيات:

انتهى البحث لعدد من التوصيات على النحو التالي:

١- ضرورة تضافر كتابات أهل العلم من المختصين لوضع تصور لتوظيف الخطاب العقدي في المجالات المتنوعة في مباحث العقيدة وقضايا الاعتقاد.

٢- تحتاج قضايا العقيدة إلى خطاب متوازن يتسم بالأصالة والمعاصرة ويراعي حاجات المخاطبين ومداركهم.

٣- ضرورة تكاتف أقلام المختصين لتبيين محاسن الإسلام وعالمية خطابه ومنهجه في مقابل الصور المسيئة التي رسمت عمدًا لتشويه الدين الخاتم ووسمه بالكراهية والعنف.

٤- استحداث وسائل معاصرة تبسط الخطاب العقدي وتسهم في نشره.

٥- يحتاج موضوع التوظيف العقدي إلى معالجات بأقلام رصينة مدادها لا ينقطع ينبع من عقول قادرة على مخاطبة الآخر.

٦- ألا يتعرض لتوظيف الخطاب العقدي إلا القادرين عليه من العلماء والمختصين مخافة المجازفة غير المدروسة.

٧- المساهمة من العلماء من تقعيد وتأصيل ضوابط تحدد ملامح وقيود منهج توظيف الخطاب العقدي.

٨- أن يتم التوسع في دراسة كل محور على حدة في دراسات مستقلة تثري التراث التجديدي في توظيف الخطاب العقدي.

ثبت المصادر والمراجع:

١- أحاديث في ذم الكلام وأهله انتخبها الإمام أبو الفضل المقرئ من رد أبي عبد الرحمن السلمي على أهل الكلام: أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن الرازي المقرئ (ت: ٤٥٤هـ)، ت: الدكتور ناصر بن عبد الرحمن بن محمد الجديع، دار أطلس للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٦م.

٢- الإحكام في أصول الأحكام: أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (ت: ٦٣١هـ)، ت: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي.

٣- الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)، ت: عمر بن محمود أبو عمر، دار الراية، ط١، ١٩٩١م.

٤- الأدب المفرد: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت:٢٥٦هـ)، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، ط٣، ١٩٨٩م.

٥- أساس البلاغة: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، ت: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٨م.

٦- الأسماء الحسنى: أبو عبد الله محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي، التلمساني الجزائري (ت:٨٩٥ هـ)، ت: نزار حمادي، مؤسسة المعارف.

٧- الأسماء والصفات للبيهقي: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، ت: عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي، ط١، ١٩٩٣م.

٨- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت : ١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة و النشر، ١٩٩٥م.

٩- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، ت: أحمد عصام الكاتب، دار الآفاق الجديدة، ط١، ١٩٨٠م.

١٠- الإفصاح عن معاني الصحاح: يحيى بن هُبَيْرَة بن محمد بن هبيرة الذهلي الشيبانيّ، أبو المظفر عون الدين (ت: ٥٦٠هـ)، ت: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن، ١٩٩٦م.

١١- أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، ت: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٩٩٧م.

١٢- الإيمان لابن منده: أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مَنْدَه العبدي (ت:٣٩٥هـ)، ت: علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٩٨٥.

١٣- بدائع الفوائد: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت:٧٥١هـ)، دار الكتاب العربي.

١٤- تجديد الخطاب الديني العقدي في مواجهة التحديات المعاصرة: أحمد محمد مفلح، رسالة دكتوراة، غير منشورة، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، كلية الدراسات العليا، الأردن، ٢٠١١.

١٥- تجديد الخطاب الديني بين الاعتصام بالأصول والتحريف، دراسة مقارنة: أبكر آدم، مركز جيل البحث العلمي، مجلة جيل الدراسات المقارنة- العدد ٤، أبريل ٢٠١٧.

١٦- تجديد الخطاب العقدي عند أبي الحسن الندوي، الكتابة الأدبية أنموذجًا: جمال الأشراف، مجلة الشهاب، جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي، معهد العلوم الإسلامية، عدد ٤، مجلد٢، ٢٠١٨.

١٧- التجديد في الخطاب الديني ضوابطه وتاريخه وأدواته: أسماء دلة، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية لبنين، جامعة الأزهر، عدد ١، مجلد ٣٤، ٢٠١٧.

١٨- تحريم النظر في كتب الكلام: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي، الشهير بابن قدامة المقدسي (ت:٦٢٠هـ)، ت: عبد الرحمن بن محمد سعيد دمشقية، عالم الكتب، ط١، ١٩٩٠م.

١٩- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي: أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى (ت: ١٣٥٣هـ)، دار الكتب العلمية.

٢٠- تعزيز قيم التعايش السلمي في المجتمعات العربية قراءة في الواقع والأبعاد: زوليخة زوزو وآخرون، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية

والاجتماعية، مركز البحث وتطوير الموارد البشرية، رماح، مج٢ ,ع١، ٢٠١٩.

٢١- تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم): أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، ت: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٨م.

٢٢- تفسير البغوي (معالم التنزيل في تفسير القرآن): محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٠هـ)، ت: محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة، ط٤، ١٩٩٧م.

٢٣- تفسير الراغب الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت:٥٠٢هـ)، ت: محمد عبد العزيز بسيوني، نشر المجلد الأول، كلية الآداب – جامعة طنطا، ١٩٩٩م.

٢٤- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار): محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين الحسيني (ت: ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

٢٥- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ)، ت: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط٣، ١٩٩٨م.

٢٦- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن): أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي

(ت: ٦٧١هـ)، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، ط٢، ١٩٦٤ م.

٢٧- تفسير الماوردي (النكت والعيون): أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت: ٤٥٠هـ)، ت: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية.

٢٨- تفسير مقاتل بن سليمان: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (ت:١٥٠هـ)، ت: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث، ٢٠٠٢.

٢٩- تكملة المعاجم العربية: رينهارت بيتر آن دُوزِي (ت: ١٣٠٠هـ)، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمَّد سَليم النعَيمي وآخرون، وزارة الثقافة، الجمهورية العراقية، ط١، ٢٠٠٠ م.

٣٠- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس: عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما–

(ت: ٦٨هـ)، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، (ت:٨١٧هـ)، دار الكتب العلمية.

٣١- التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِع الصَّغِيرِ: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (ت: ١١٨٢هـ)، ت: محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم، مكتبة دار السلام، ط١، ٢٠١١ م.

٣٢- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (ت: ٧٩٥هـ)، ت: محمد الأحمدي أبو النور، دار السلام، ط٢، ٢٠٠٤ م.

٣٣- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية).

٣٤- جامع بيان العلم وفضله: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت: ٤٦٣هـ)، ت: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، ط١، ١٩٩٤م.

٣٥- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ)، دار الكتب العلمية.

٣٦- الخطاب العقدي بين الأصالة والمعاصرة: عثمان علي حسن، مجلة الشريعة والقانون، جامعة إفريقيا العالمية، عدد٥، ٢٠٠٥.

٣٧- الخطاب العقدي في القصة القرآنية بين الواقعية والغيبية وتطبيقاته في العصر الحاضر: شريف بن الشيخ صالح أحمد، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، جامعة آل البيت، عدد١، مجلد١٢، ٢٠١٦م.

٣٨- دراسة القضاء العرفي كآلية للضبط الاجتماعي بمحافظة شمال سيناء: حسين محمد تهامي، مجلة اتحاد الجامعات العربية للعلوم الزراعية، جامعة عين شمس، مجد ٢١، عدد ٢، ٢٠١٣.

٣٩- ذم الغيبة والنميمة: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ)، بشير محمد عيون، مكتبة دار البيان، ط١، ١٩٩٢م.

٤٠- ذم الكلام وأهله: أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الهروي(ت: ٤٨١هـ)، ت: عبد الرحمن عبد العزيز الشبل، مكتبة العلوم والحكم، ١٩٩٨م.

٤١- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، ت: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، ١٩٩٤م.

٤٢- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، ت: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٤م.

٤٣- سنن ابن ماجه: ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (ت:٢٧٣هـ)، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.

٤٤- سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت: ٢٧٥هـ)، ت: شعَيب الأرنؤوط، وآخرون، دار الرسالة العالمية، ط١، ٢٠٠٩م.

٤٥- سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى الترمذي، (ت: ٢٧٩هـ)، ت: أحمد محمد شاكر وآخرون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ،١٩٧٥م.

٤٦- السنن الكبرى: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، ت: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط٣، ٢٠٠٣م.

٤٧- شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن): شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (ت:٧٤٣هـ)، ت: عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى ، ط١ ، ١٩٩٧م.

٤٨- شرح سنن أبي داود: شهاب الدين أبو العباس أحمد بن حسين بن علي بن رسلان المقدسي الرملي الشافعي (ت: ٨٤٤ هـ): عدد من الباحثين بدار الفلاح بإشراف خالد الرباط، دار الفلاح، ط١، ٢٠١٦م.

٤٩- شرح صحيح البخاري لابن بطال: ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت: ٤٤٩هـ)، ت: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، ط٢، ٢٠٠٣م.

٥٠- شرح صحيح مسلمِ للقاضـي عِيَاض المسمى إكمال المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِمِ: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبـو الفضـل (ت: ٥٤٤هـ)، ت: يحيـى إسماعيل، دار الوفـاء، ط١، ١٩٩٨م.

٥١- شرح مختصر المنتهى الأصولي للإمام أبي عمرو عثمان ابن الحاجب المالكي (ت: ٦٤٦هـ) : عضد الدين عبد الرحمن الإيجي (ت: ٧٥٦ هـ) وعلى المختصر والشرح حاشية سعد الدين التفتازاني (ت: ٧٩١ هـ)، وحاشية السيد الشريف الجرجاني (ت:٨١٦هـ)، ت: محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٤م.

٥٢- شعب الإيمان: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، أبـو بكـر البيهقـي (ت:٤٥٨هـ)، ت: عبد العلي عبد الحميد حامد وآخرون، مكتبة الرشد، ط١، ٢٠٠٣م.

٥٣- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: نشوان بن سعيد الحميرى اليمنـي (ت:٥٧٣هـ)، ت: د حسين بن عبد الله العمري وآخرون، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٩٩م.

٥٤- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)، ت: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٨٧م.

٥٥- الضبط الاجتماعي والمجتمع دور العرف والدين كقيم اجتماعية في ضبط المجتمع: مختار محمد سالم، مجلة جامعة الزيتونة، جامعة الزيتونة، عدد ٨، ٢٠١٣.

٥٦- طرح التثريب في شرح التقريب:أبو الفضل زين الدين عبدالرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (ت: ٨٠٦هـ)، الطبعة المصرية القديمة.

٥٧- العاقبة في ذكر الموت: عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسين بن سعيد إبراهيم الأزدي، الأندلسي الأشبيلي، المعروف بابن الخراط (ت: ٥٨١هـ)، ت: خضر محمد خضر، مكتبة دار الأقصى، ١٩٨٦م.

٥٨- عمدة القاري شرح صحيح البخاري: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (ت: ٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي.

٥٩- فائدة جليلة في قواعد الأسماء الحسنى: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، ت: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، ط١، ٢٠٠٣م.

٦٠- فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة.

٦١- فيض القدير: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت: ١٠٣١ هـ)، دار الكتب العلمية.

٦٢- القبس في شرح موطأ مالك بن أنس: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (ت: ٥٤٣هـ)، ت: محمد عبد الله ولد كريم، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٢ م.

٦٣- القيامة الكبرى: عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، دار النفائس، ط٦، ١٩٩٥م.

٦٤- القيم والمعايير والضبط الاجتماعي دراسة نظرية عن الواقع العراقي: شاكر حسين الخشالي، مجلة العلوم والتربية النفسية، الجمعية العراقية للعلوم التربوية والنفسية، عدد١١٣، ٢٠١٥م.

٦٥- كتاب الألفاظ: ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (ت: ٢٤٤هـ)، فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان ناشرون، ط١، ١٩٩٨م.

٦٦- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (ت: ٢٣٥هـ)، ت: كمال يوسف الحوت، ط١، ١٩٨٨.

٦٧- لباب التأويل في معاني التنزيل: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت: ٧٤١هـ)، ت: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٤.

٦٨- اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت: ٧٧٥هـ)، ت: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٨م.

٦٩- لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابـن منظـور الأنصـاري الرويفعـي الإفريقـي (ت: ٧١١هـ)، دار صادر.

٧٠- مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار: جمال الدين، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفَتَّنِي الكجراتي (ت: ٩٨٦هـ)، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط٣، ١٩٦٧م.

٧١- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ)، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م.

٧٢- مختار الصحاح: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت: ٦٦٦هـ)، ت: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، ط٥، ١٩٩٩م.

٧٣- المخصص: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: ٤٥٨هـ)، ت: خليـل إبـراهيم، دار إحيـاء التـراث العربـي، ط١، ١٩٩٦م.

٧٤- المستدرك على الصحيحين: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بـن محمـد بـن حمدويـه بـن نُعـيم بـن الحكـم الضـبي الطهمـاني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت:٤٠٥هـ)، ت: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٠م.

٧٥- مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، ت: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠١م.

٧٦- مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار: أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (ت: ٢٩٢هـ)، ت: محفوظ الرحمن زين الله، وآخرون، مكتبة العلوم والحكم، ٢٠٠٩م.

٧٧- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي.

٧٨- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت:٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية، بيروت.

٧٩- مظاهر تجديد الخطاب الديني ونتائجه: سامية جبارة، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين، القاهرة، جامعة الأزهر، عدد خاص، ٢٠١٧.

٨٠- معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات: محمد بن خليفة بن علي التميمي، أضواء السلف، ط١، ١٩٩٩م.

٨١- المعجم الأوسط: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت: ٣٦٠هـ)، ت: طارق بن عوض الله بن محمد، وآخرون، دار الحرمين.

٨٢- معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية: أحمد زكي بدوي، مكتبة لبنان.

٨٣- معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م.

٨٤- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٩٩٩م.

٨٥- المفاتيح في شرح المصابيح: الحسين بن محمود بن الحسن، مظهر الدين الزَّيْدَانيُّ الكوفي الضَّريرُ الشِّيرازيُّ الحَنَفيُّ المشهورُ بالمُظْهِري (ت: ٧٢٧ هـ)، دار النوادر، ط١، ٢٠١٢ م.

٨٦- المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢ هـ)، ت: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة.

٨٧- المفضليات: المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي (المتوفى: نحو ١٦٨هـ)، ت: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف، ط٦.

٨٨- مفهوم التنمية وخصائصها من وجهة نظر إسلامية: حسن إبراهيم الهنداوي، مجلة التنوير، مركز التنوير المعرفي، عدد٥، ٢٠٠٨م.

٨٩- نهاية الوصول في دراية الأصول: صفي الدين محمد بن عبد الرحيم الأرموي الهندي (ت:٧١٥هـ)، ت: د. صالح بن سليمان اليوسف - د. سعد بن سالم السويح، رسالتا دكتوراة بجامعة الإمام بالرياض، المكتبة التجارية بمكة المكرمة، ط١، ١٩٩٦م.

٩٠- ولله الأسماء الحسنى: عبد العزيز بن ناصر الجليل، دار طيبة، ط٤، ٢٠١٢.